MAG 309-13
04

الجمـــهورية الجزائريـــة الديمـقراطية الشـــعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جـامعة أبي بكـر بلقـايد
كلية الأداب والعلوم الإنسانية والعلوم الإنسانية
قســم الثـقافة الشـــعبية

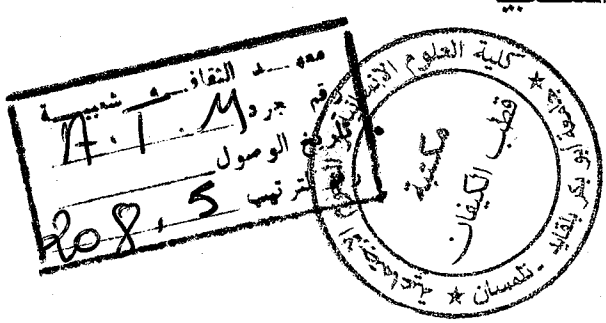

الزواج في منطقة ثرارة

" عـرش بني مسهل نمودجـــا "

دراسة سوسيو انثروبولوجيـــا

رســالة مـا جستيـر في العلوم الأنثروبولوجيـا

للطـــالب: محمـــــد عثمـــــاني تحت إشراف الدكتورة: عفيفة مشربط

لجنة المناقشة :المكونة من السادة :

الاستاد الدكتور /عكاشة الشايف	.....رئيـــسا
الاستاد الدكتور / محمد سعـيدي	.....عضـــوا
الاستاد الدكتور / محمد موسوني	.....عضـــوا
الاستاد الدكتور /محمد رمضـان	.....مناقشـــا

السـنة الدراسـة 2002

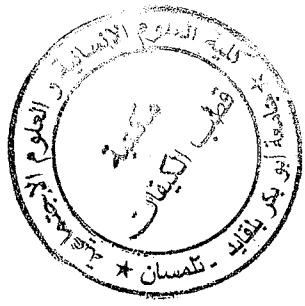

يقول الله تعالى في سورة الـــــروم"

... قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الدين من قبل... "

صدق الله العظيم

شـــــــــــكر وتقـــــــــــدير

يسعني في بـداية هذه الرسالة أن أتوجـه بالشكر والعرفان لكل من ساهم في تعليمي.

والله أسأل أن يثيب الجميع أحسن ثواب وأن يكافئهم خـير مكافأة

المقدمـــــــــــــــة

تحيط بنا الكثير من الظواهر الثقافية و الإجتماعية المستوحاة من العادات والتقاليد التي لا تزال حتي الآن تلعب دورا بارزا في الكثير من الجوانب الحياتية المرتبطة بتسيير أمورنا اليومية ,وبخاصة في منطقة ثرارة , ولهذه الظواهر جدور نبثت في تربة التاريخ البشري القديم , وباتت في العديد من القضايا مبهمة لنا . ورغم ذلك يحرم على المرء مخالفتها دون إبـداء الأسباب أو معرفة المصدر الرفض.

ولمحاولة فهم هذه العوائق وتأصلها في باطن التاريخ لابد لنا من تحليل منطقي لفهم التطور التاريخي للمجتمع الثراري ومعرفة قواه المحركة, و المعرفة الحقيقية للدور الذي اضطلعت به الجماهير الثرارية علي مختلف مراحل التاريخ, فظهور المجتمع البربري وتطوره وانتقاله من تشكيلة ثقافية الى تشكيلة أخرى مختلفة نوعيا عن سابقتها وأكثر منها تقدما لم تكن عملية عفوية بسيطة وإنما كانت عن طريق مخاض عسير وصعب و معقـــد في آن واحد, خاصة إذا كان يمس بحالة الأشخاص والقضايا المرتبطة بهم.

فتاريخ الثقافة البشرية ليسى فوضى أو خليطا من الأحداث والتطورات الحاصلة عن طريق الصدف و إنما هي عملية منطقية تسير بالتروي إلى المكامن حقيقية الثقافة الإنسانية من تشكيلة ونمط إلى تشكيلة أخرى .

فالجغرافيا مع أنها لعبت دورا هاما في تمركز الجماعات البشرية حول منابع المياه مثلا أو في المناطق المناخية المعتدلة , أو بالمناطق المحمية طبيعيا لصعوبة إختراقها والوصول إليها دون مرشد أو دليل ,لكن الدور الحاسم في التطور الثقافي اللاحق للمجتمعات البشرية لم يكن للجغرافيا و للظواهر الإيكولوجيا بقدر ما كان بتفاعل العلاقات الإجتماعية والإقتصادية التى أدت الى ظهور تراكمات وانطباعات ثقافية ,نتأتاها في شكل ظواهر الطبيعية لا يمكن فهمها إلا بإخضاعها إلى بسلسلة من الحوادث المنطقية ,

ففي هذا السياق التطوري نشأت الحاجة الى تبادل الأحاسيس والشعور و نقل أفكار المحبة ما بين التجمعات البشرية , التي قد ساعدت الإنسان على التفكير المجرد وعلى تعميم إنعكاسات الواقع في مفاهيم ثقافية مجردة وعامة وإستنباطها في شكل ظواهر ,

ولأن ا لإ نسان بطبعه كائن إجتماعي لايستطيع أن يحيا خارج الجماعة , تحكمه مجموعة من الأعراف والعادات والتقاليد, التي أصبحت له هي الإطار الرئيسي المنظم لتصرفاته يعيـش ضمنها ومعها , فحاجة الإنسان الطبيعية والفيزيبيولوجية ساعدت بدورها على ربـــط أواسر الجماعات البشرية وتوحيدها ثقافيا وإجتماعيا . .وبظهور المداشر والتجمعات البشرية والأعراش. تنظمت بشكل عفوي على ضؤ العادات والتقاليد التي كانت سائدة حسب الحاجة , فكانت التقاليد المنظمة للأشكال البسيطة لمنتحي الحياة , إلى المسائل المعقدة من التنظيمات البشر وسلوكاتهم إتجاهها.

فمن الأكناثية إلى الزواجية النواوية , فهذا التطور الحاصل لم يكن يجري عن قوة غيبية كما قد يعتقد البعض وإنما هو نتاج تفكير بشري معارفي .

إن تطور الحياة الإجتماعية والثقافية من النظام البدائي إلى النظام العبودية و الإقطاع كلها نظم إجتماعية عايشتها الثقافية البشرية للمنطقة بالضرورة من الأسرة الأمومية الى البطريقية بل حسب عادات وتقاليد وأعراف موضوعة وصلت إلينا عن طريق المعرفـة اليومية بالحفظ والتلقين عن طريق التواثر في ممارسة قضايا الحياة , لذلك فإن لدور الإسان في هذا الضخم الثقافي دورا ايجابيا لا ينحصر في التنفيد والتطبيق لهذه التراكمات الثقافية فحسب وإنما كان له دورا نشيطا يتفاعل مع الظواهرالاجتماعية و يحركها قد يعدل فيها ويغير ما يتلاء م مع المراكز القانونية لأفراد المجتمع , لذلك فإن تحليل المسائل والقضايا الزيجية مقترن بتحليل وفهم ظهور وتطور الإنسان والمجتمع الإنساني عامـة , فلا يقتصر التحليل علي دراسة الجوانب الزيجية والإجراءات مرتبطة به رغم أهميتها.

التمـــهيـــــــد

إن الزواج وطقوسه الاحتفالية مايزال كما هو الشأن بالنسبة لمنطقة تزارة محافظا على تقاليد عذريته الانتروبولوجية في الكثير من مناحي الحياة ، وحقلا خصبا لجميع الأبحـــــاث والدراسات الثقافية والاجتماعية وحتى الاثنولوجية لأن أغلب ماخصت بـــه المنطقة الثراريــة وأعراشها الممــدة وما تحتويه من كنوز ثقافية لم يتعد الجانب التاريخي من الدراسة ، و حتى ذلك بصفة شحيحة لأنه في مجمله لم يمس عمق المجتمع الثراري وبنياته الإجتماعيـة الثقافية ، وإنما كان منصبا على حضر ندرومــة ثقافـة وتاريخا دون غيرها من الأقوام المجاورة لها .[1]

ولعل الدراسة الوحيدة التي حضيت بها المنطقة هي التي تولاها روني باسيي في كتابه ندرومــة وثرارة وهو عبارة عن مثال حـــي ودليل على قلة الدراسات التي أعتنت بالمنطقـــة.[2]

إن حركة الأرض ودوارنها حول نفسها وما ينتج عنها من تعاقب الليل والنهار أهمية في تحديد وحصر سلكات الأفراد كما أن المصادر الطبيعية و الايكولوجيا من خصوبة الأرض ووفرة المياه وخصون المنطقة يحدد نوعيةو وطبيعة الجماعة كما إن للمناخ ثاثير في المزاج الفكري لافراد المجتمع من انفعالات و طبائع وميول وبالثالي يؤثر في سلوكهم وتصرفاتهم الاجتماعية ، هده العوامل كلها ساعدت في تكوين وانصهار مخزون ثقافي للبنية الاجتماعية و التي على ضوءها يمكن الاستقراء والكشف عن نوعية العلاقات الوظيفية التي توجد بين الافراد

---

[1] . تاريخ الجزائر الثقافي للدكتور أبو القاسم سعد الله . ح2/ م.و.ك.ص /ص 332. ـــــ تاريخ افريقيا الشمالية ، ص 46شارل اندري جوليان، ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلام دارالتونسية للنشر سنة 1969

و المداشر والاعراش في ظروف وفترات زمانية معينة لمعرفة نوعية الثقافة السائدة والمسيطرة على الأفراد داخل إطارهم وما هي مصادرها إن وجدت وروافدها.وتماشيا مع مقولة لويس مورجان في كتابه المجتمع القديم ' إن الانسان يحيا عن طريق استعمال وسائله الفنية و الثقافية التي تمكنه من استغلال مصادره الطبيعية وتوظيفها لصالحه "، يمكن معرفة سبب التسيب للتأليف التارخيي والعناية باخبار الأهالي وبيئتهم ومحيطهم الإجتماعي و الثقافي لافراد[1] المجتمع والاهمال الثقافي الذي تعرضت له المنطقة [1] وما تعرضوا له عبر مرحل العصور من كوارث طبيعية و انسانية وما يدور حوة الثرارية من قبل المثقف الجزائري على الخصوص سواءا ذلك قديما بسبب عدم ميله لتأريخ للعلاقة التي تربط بينهم ضمن إطارهم القبائلي ، أو حذيثا بسبب عقدة الخوف الكامنة في نفسية الباحث أو المؤلف من النتائج التي يمكن التوصل إليها.

لذا وفي ظل شح المثقفون السابقون، فاني بهده الدراسة لا أجزم إني سأرفع غبار الظلم عما تعرضت له المنطقة الثرارية من ثقافة الإهمال 2 وإنما هي لبنة اولية اساهم بها بالدراسة و التحليل لثقافة الزواج بكل ابعاده و اشكاله واشكالياته ، دراسة سوسيوانتروبولوجيا خاصة وان البنية الثقافية التحتية للمجتمع الترارى هي الآن في طريقها للزوال و الانكماش بعد تعرضها لعمليات تحويل وتغيير سريعين بسبب تواكب الاحداث و تعاقبها وما عرفته المنطقة خلال العقد الزمني الاخير من عمليات قصرية في المناحي ثقافية ، وكذا نتيجة وفاة وإندثار الحاملين للثقافة الشعبية كما يقول " هامباته با" وهو أحد الحكماء الإفريقيين أثناء حديثه عن الرواية الشفاهية "قوله كلما توفى عجوز إفريقي كانت وفاته إحتراق مكتبة " 3 .فمشكلة التغيير الإجتماعي هي من الأسباب التي أدت بي الى

1.الجزائر وأقطار العالم الثالث في نظر الإثنولوجيا في القرن 19، عن مجلة الأصالة التي كانت تصدرها وزارة التعليم االأصلي والشؤون الدينية العدد ص64

2. SCE ADMINISTRATIVE JACQUES CHEVALIER, ET DANIELE LOSCHAK-TOME II . PARIS. L.G.D.T –PAGE 470

3. حوار الحضارات لروجي غرردي مع مقدمة من تأليف ودراسة للأديب محمد غزالي ترجمة عادل العوا منشورات عويدات بيروت باريس 1978ص153

التمعن في ظاهرة الزواج بين الأمس واليوم وما طرأ عليها من تحويل وتغيير أنجر عنه عبر الوقت الإبتعاد عن الشعائر الثقافية الإثنية التي كانت سائدة فيما مضى مستمدة من ثقافة أقـوام بني أيلـول وبني ونـــان [1] والتي كانت تعتبر من القواعد الأساسية للزواج في المنطق الثراري [2] مـن خطبة وكيفية اجرائها والفاتحة أو المعطا وطقوسها الإثنية وتحضير الزواج واجراءاته .وتحديد موعد العرس، والإيام التي تسبقه والتّي تليه، وحال المخطوبين وسلوكيهما والمحيطين بهما كل هذا الكم الثقافي حاولت جمعه معتمدا في ذلك في أغلب الحالات على المصادر الشفاهية محتكا بالعارفين من أهل العرش بأعراف وتقاليذ المنطقة والممارسين لها من الشيوخ ، مصمما عدة استبيانات وقوائم اسئلة محددة الغرض للتعرف اولاً على المصدر وصحته وبمعايشته الفعلية لثقافة الزواج في المنطقة بما يشمله من طقوس فنية وتقاليد وعادات ، وثانيا على البعد الفكري و النفسي لقاليد الزواج وأثره في نفسية أفراد المجتمع . ومن هنا أجد من بمكان الإشارة أن جمع المعلومات رغم سهولتها لم يكن بالأمـر السـهل و الهين، ذلك الضروري أن الاعتماد كان منصبا في مجمله على ذاكرة الأفراد المسنين الذين لا زال البعض منهم يتذكر حتى البعض من المفرذات اللهجـة القبائلية التي كانت سائذة فيما ماضى ، لإ عتمـاد الأهالي فيما ماضي الى وجود تلك العلاقة المعقدة بين المنهج الكمـي والكيفـي في جمـع المعلومات و تـحليلها وضبطها بما يخدم البحث ذاخـل الفضـاء الثقافـي للمنطقـة بإعراشـها ومداشيرها وبطونـها وفرقها المختلفـة التباين من عـرش إلى آخـــر.

3- والصعوبة الأخرى تكمن في جهل سـكان المنطقة لمصـدر ثقافتهم و إنحدارهم النسلـي الانثولوجي

---

[1] .بني ونان وهي آثار لاطلال وبقايا لمداشر ، موجودة لسفح جبل المنشار بفلاوسن، يضرب بها الآهالي لمداشر بني مسهل المثل في القدم، فيقوقون على الشيء لقدمه أنه لابني ونان .

[2] .المرجع السابق . العلوم الإدارية. ص33

[3] . ان عدم إهتمام المدارس التاريخية والأنتروبولوجية الفرنسيا بتاريخ المنطقة . إلا بماخدم مصالحها الإستعمارية رغم استئيلائها على أهم المثادر والمخطوطات النفيسة . مرد استعماري حتى يمكنها التشويش على ثقافة الأهالي وتهجينهم فكرينا وثقافيا ليسهل بعدها عليها السيطرة على أفرادها تجسيدا

لاعتقادهم الراسخ انهم منحدرون من الاصل العربي ، وإن كانت السماة الثقافية والإثنية المتقاربة لشعوب أعراش المنطقة متشابهة إلى أقصى حد توحي إلى غير ذلك. فهذا الفسيفساء الفني هو الدي استخود على اهتمامي للولوج في عراقة المنطقة وما تزخر به من كنوز فنية و ثقافية لازالت على حالها لم يستغلها علماء الآثار والحفريات لتحديد موقعها من التاريخ، وزادت الصعوبة في تحديد طورها الزمني الى تداخل الروافد الثقافية البربرية والبونيقية والرومانية والوندالية والبيزنطية [1] فالإسلامية بما تحمله من متغيرات ، فالإسباني الموريكسي، و العثماني التوليدي الانكشاري ، فالكولونيالي الفرنسي[2]، هي روافد لمصادر ثقافية متعددة ومتنوعة إمتزجت فيما بينها في ثقافة المنشأ . رغم النفور الموجود فيما بينها ، كل ذلك حاولت ترجمته وحصره في منحى الزواج ، وما يرتبط به من روافد ثقافية أخرى محاولا مقارنة ظاهرة الزواج في منطقة تْزارة وطقوسه ، بالزواج في المناطق المجاورة وبخاصة في عند الحضر و عند عرش بني يعقوب و أولاد رياح القبيلتين الهلاليتين المتواجدتين على الضفة الأخرى من واد يافنة، معتمداً في إنجاز ه بالإضافة إلى المصادر الشفاهية ، على المعاينة بالملاحظة بالمشاركة ، والإعتماد على الإخباريين في معرفة الأنساب والعصب بالإضافة الى جملة من المصادر الثقافية الأخرى معتمداً على المنهج الوصفي في جمع البيانات المنظمة للعلاقات الإجتماعية من مسح وإحصاء وإستخبار و تسجيل و مسائلة مباشرة ، أو عن طريق تصميم الإستبيانات

لنظرية أوغيست كانط المبنية على نموذج التطور الثلاثي على فرض الجهالة المتوحشة وفي البعدين الآخرين على إشراق النور.

[1] .مؤسسة الجغرافيا والآثار لمنطقة وهران عبر العصور، شركة داث أسهم للورق والطباعة. ص 16

[2] موقف المؤرخين الاجانب من تاريخ الجزائر عبر العصور للشيخ العلامة المهدي بوعبدلي .موضوع منشور في مجلة الاصالة . العدد 14و 15 . الصادر عن وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية.

وقوائم اسئلة محددة الغرض قصد الوصول إلى معرفة المورثات الثقافية والملة و الوسـط الإجتماعي لمعرفة واقع الأحوال في المجتمع مستعينا في ذلك على المنهج التحليلي السوسيو أنثروبولوجي الذي يعتمد على المعلومات الوصفية والتاريخية الذي يصف الظواهر الإجتماعية وشمولها لمعرفة ما طرأ على الظواهر الاجتماعية من تغيير وتحوير كما لاحظت بنفسي ما كان يجري من ممارسات من خطبة وعقد قران الضرورين من أجل انشاء مجتمع وفقا لإجراءات وطقوس معينة ومعطى وزفاف و السبعة إيام التي تلي الزواج،بصفته الخلية الأساسية للمجتمع على إعتباره أهم النظم الإجتماعية وأقدسـها على الاطلاق في نظر حياة الفرد والأسرة والمجتمع ، فإجتماع كائنان يكونا متشبعين بثقافة الوسـط،ومن ثم فجمع المعلومات والحقائق لم يتأتى لنا إلا بمصاحبة شيوخ العرش و مسنيه الطالعين بمعرفة ماضيهم الثقافي والذين بفضلها تكونت لهم تجارب انبثقت فيما بعد في شكل سلوك اعتيادي،فكنت أنتهز فرص وجدوها لتسجيلها .

ومن ثم فقد رأيت من الضروري أن أتعرض قبل تحليل الطقوس الزيجية في المنطقة الثرارية على وجه العموم وأن أقوم بدراسة البعد التاريخي للبنية الثقافية للمنطقة الثرارية ، مع إرفاقها بدراسـة لحالات نمودجية ، على أن يتضمن البحث أربعة فصول على الوجه الآتي بيانهـــا :

الفصل الأول : البنية الطبيعية والثاريخية لمنطقة ثرارة

الفصل الثاني : النمط الحياتي لثرارة

الفصل الثالث : الطقوس الأولية السابقة لعقد الزواج

الفصل الرابع : حفل الزفاف ومراسيمه

الفصـــــــــل الاول : البنية الطبيعيــة و التاريخيــة لمنطقـة ثرارة

تعتبر منطقة ثرارة من أهم المناطق البشرية لولاية تلمسان التي تموج فيها أنماط وسماة ثقافية وفنية مختلفة الباطن موحدة الظاهر رغم البيئة الثرارية المتجانسة بشريا ،

كل هذه الأهمية إلا أنه كما سبق الذكر لم تكن مرتعا إلاّ لبعض البحوث والدراسات الشحيحة رغم ما تزخر به من كنوز فنية وثقافية لازالت على حالتها الطبيعية لم تستغل بعد[1] . وهو ما يستوجب منا تحديد منطقة ثرارة زمانيا ومكانيا مع بيـــان التركيبة البشرية، من الفرق، والبطون المشكلة لأعراشها أو التّي ساهمت في تشكيلها كمجموعات بشرية و عمرانية عبر العصور. [2]

من خلالها التطلع الى التنظيمات الإجتماعية السائدة كنمط ثقافي وكأسلوب في الحياة.

---

[1] تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ــ الجزائريون كانوا ينظنون أن التاريخ أمرا مضحكا لايدرسه أهل الجد والدين الأنه مخالفا للأخلاق وهو ماجعل الورثلاني يجزم بانعدام التاريخ في الجزائر .ص 332

[2] . الجغرافيا ومكانة العمران . ل. بيتنام وايلور . ص 4

البحث الأول: البعـد التاريخي لمنطقة ثرارة

تتموقع منطقة ثرارة في أقصى الشمال الغربي لمدينة تلمسان ., يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط , و الجزءالجنوبي حيث واد تافنة أما أجزائها الأخرى فهي تتواجد محادية للطرق البرية التي كانت المعبد الوحيد لتجار المشرق والمغرب , هذا الموقع جعل منها أن تكون المحك و الحلقة الموصلة لمختلف الثقافات , فحدودها الشرقية عرفت حضارة هنين بمرفائها البحري والجهة الغربية, تأثرت بصراعات المد و الجزر لقبائل آنقاد وبني زناسن , أما شمالها وجنوبها فكان عبارة عن حركة ثقافة ومعارفية مستمرة ومتواصلة عبرالحركات من الداخل أو عن طريق مرافئها البحرية من الشمال,[1] كل دلك كون للمنطقة .. مرجعيات ثقافية وانتروبولوجيا استمدتها من مختلف الاشكال الأجتماعية لأعراش المنطقة ومن مؤثراتها الخارجية العابرة . رغم أن المد الانثروبولوجي المؤثر في المنطقة عبر العصور المتعاقبة أعطى لها عبر هذه الحركية الثقافية مناعة تقيها و ثقافتها من عوامل الخارجية, وإن كان الإحتكاك هو نفسه قد خلق منبعا ثقافيا و أنتج عناصر ثقافية جديدة مثريا بذلك الثقافة الثرارية سواء أ كان ذلك طوعيا عن طر يق الفتح الإسلامي أو قصريا عبر الحملات الهلالية والحروب مع أهل آنقاد وبني زناسن , والصمود في مواجهة الأتراك , وما أفرزته ثقافتهم من مؤثرات , أو عن طريق الغزوات الخارجية عبر البحر الأبيض المتوسط , كل ذلك الصراع الثقافي بين الد والجز إلا أنه لم يكن ليصل للتصادم الثقافي بسبب المناعة الثقافية لأهل المنطقة التي اكتسبوها بتجانسهم البشري المشكل لأعراشها التي كونوها عبر العصور [2] نتيجة استقرار ضوابط أخلاقية لأنظمتهم وبساطتها .

---

[1] انظر الخريطة التفصيلية للمنطقة الترارية

[2] . محاضرات في علم الأجتماع السياسي للاستاد محمد حامد. في شكل مطبوعات جامعية أخرجتها اللجنة التربوية ولجنة المطبوعات للسداسي الثاني للسنة الجامعية 77/76 معهد الحقوق والعلوم الادارية. جامعة وهران ص15.

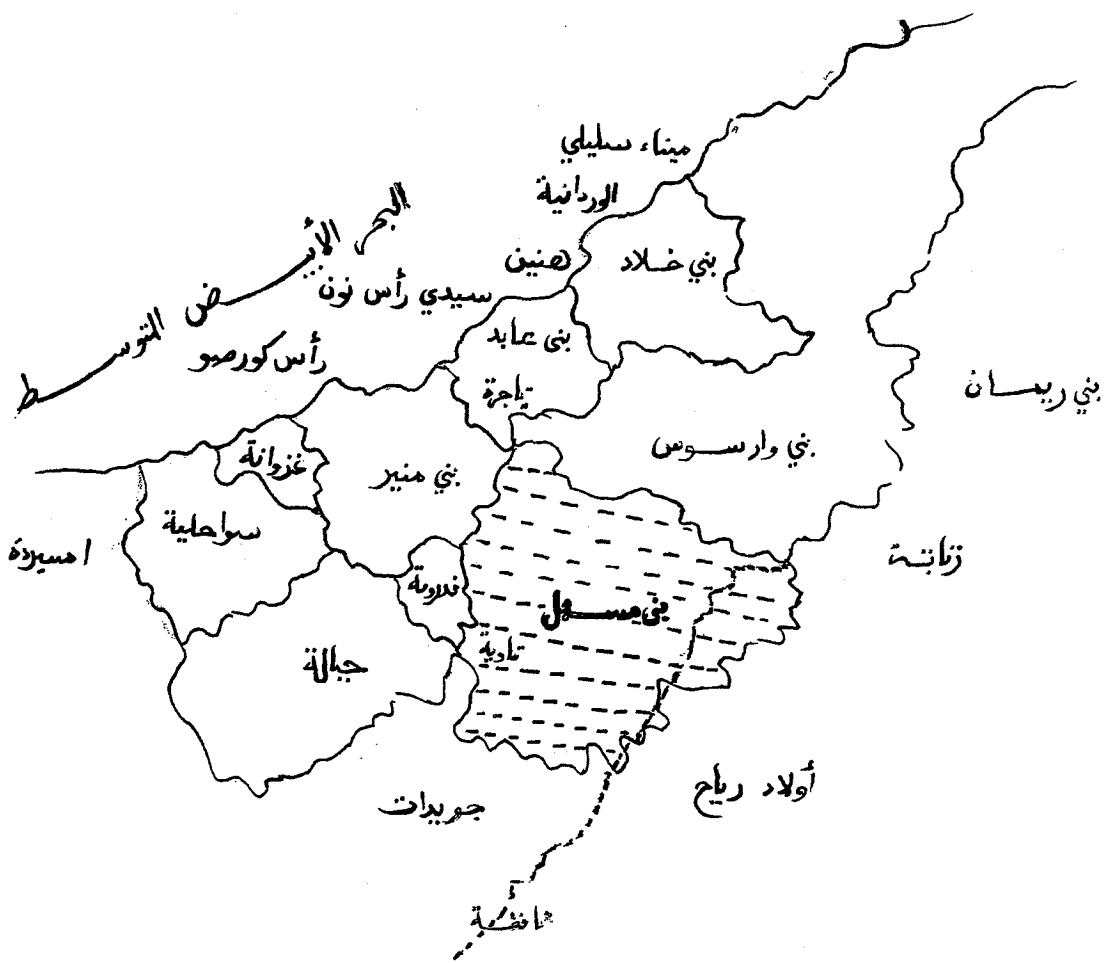

مخطط بياني للأعراش الثرارية

إن المنطقة الثرارية كانت مقسمة إلى عد ة وحـدات إقليميـة تشبه إلى حد بعيد تقسيم المدويلات الرومانيا واليونانية ، يُطلق على كل وحـدة عرش ، ولعل هذا التشا به مـرده تشبع أهـل المنطقـة بالثقافة البربرية للرومان و اليونان والوندال، وهو ما يثبث أن البعض مـن سكان المنطقـة أصلهم كذلك ،

وتعبير العرش عنـدهم لا يعني ملـك أو تنظـيم سياسي بالمفهوم الحذيث وإنما هو تقسيم إداري بسيط استمده الأهالي من محاكاتهم للحضارات القديمة التي كانـت متواجدة بالمنطقة ، فالـولاء والخضوع لقائـد العرش فضلا على أنه يكون النواة القوميـة الصلبة التي يصعب على أي كان تفكيكها، أو قـل هو وتـد الرحـا [1] لا يمكـن للعرش أن يتحرك أو يتخد موقـفا دونه . وتقسيم المنطقة على هذا النحو من التكتلات البشرية المسماة أعراشا جعل لكل عـرش وحدتـه المستقلة ذ اتيا عن بقيـة الاعراش الاخرى ، بل أن الفـرق والبطـون ذاخل العرش الواحـد هي في حالة نفـور مستمر أن لم تكن في عداوة، زغادة وفرقـة اولاد بالراشد ، دائمـة .كمثل العداوة والكراهية المتواجدة بـين فرقـة زغادة وارقـايع أو زغادة الظهر وزغادة ثاوية [2].

ولعل هدا التشابه في التقسـيم الذي يتحلى به كل عـرش عـن بقية الأعـراش الاخرى داخل الاطار الاقليمي للمجتمع الثراري هو الذي جعل من السلطات الغازية تحاول افـرض هيمنة نفوذها على آهـالي المنطقـة لإرسـاء الحكـم المركـز، إلا أن فشلها كان دريعا أمام صلابة المجتمع الثراري، فنهجت بذلك أمـام هذا الفشل إلى إنتهاج اسلوب اللامركزيـة التسيير [3]. كـذلك كانت أعـراش المنـطقة مستقلة عن بعضـها البعـض وفيما بعد عن الإدارة المحلية الفرنسية [4] .

---

[1] تاريخ الجزائر المعاصرة / د. شارل روبير اجيرون (د م ج) ط/2 .سنة 1973ترجمة عيسى منصور ص 5 6

[2] هما قبيلتان توجدان بعرش بني .مسهل في نفور وخصال مند القدم دون معرفة سبب،

[3] الضرائب ـ لم يكن أهل المنطقة يدفعون الضرائب بسبب اعفائهم خلال حكم الموحدين

[4].Histoire des Debuts de la colonisation dans la subdivision de. Tlemcen , tome premier ,par André LECOCQ, Editie 1941, page 41

وفي حالة نفور وتصادم مستمرين ومتجددين ، الرباط الوحيد الذي يشدها لبعضها البعض اخلاقيا وعضويا [1]، اتحادها اثناء المخاطر و الحروب والغزوات الخارجية ، أو تآزرها في النكبات الناتجة عن الروح الدينية التي كانت تلطف الى حد بعيد من التعصب و التكاؤك . لتماسك الأهالي الثرارية بالقيم الإسلامية وفي المداهب الطرقية.

غير هذا الإيخاء الديني لم يمنع من بقائها محافظة على أصولها الإثنية البربرية وعلى مميزات ثراثها الثقافي رغم تعريبها نطقا ولسانا [2] بسبب إنتقال سكان بعض القبائل العربية التي كانت مستقرة في سفوح جبال الونشريس واستقرارها بمنطقة ثرارة وبمنطقة أولاد رياح وبني يعقوب [3] .فأحدث ذلك الاختلاف الاثني إلى ظهور صراع ثقافي وسيكولوجي ناجم عن اختلاف الدهنيات و الطبوع والمقومات الثقافية للقبائل العربية عنه من القبائل الأمازيغية الثرارية ، هذا الصراع و التحاك تولد عنه تصلب الثقاليد والعادات البربرية وإنغلاقها عن نفسها خوفا من التأثيرات الثقافة العربية [4]. غير أنه لامناص من الذكر أن الحضارة العربية الاسلامية قد أثرت في ثقافة أهالي المنطقة في جميع مناحي الحياة ، وبموجبها فقدوا الكثير من وحدتهم وعصبيتهم الإثنية،ليتوزعوا إلى مجموعات عرقية ومذهبية على شكل بطون وفرق متمايزة،مشكلين الأعراش [5].

علما أن منطقة ثرارة بجميع أعراشها قد أعلنت ولاءها لسلطة يوسف بن تاشفين وذلك خلال القرن الحادي عشر الميلادي ، قبل أن يتمكن أبو محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي الثراري من بسط سلطته الروحية والعسكرية عليها مزيلا بذلك جميع

---

[1] . الفكر الأخلاقي عند لبن خلدون لعبد الله شريط ـــ ش.و.ن.ت ـ الجزائر 1991 ، ص 186.

[2] . صدى الثورة الجزائرية في الاهاجيز النسوية في ولاية تلمسان ، رسالة ماجستير عن جامعة تلمسان . معهد الثقافة الشعبية أ يزلي عمار ، سنة 90_ 91، ص 18

[3] . قبيلتا أولاد رياح وبني يعقوب

[4] Nedroma et le pays des TRARA/ P 6 , 52. Monographie de l'Arrondissement de Tlemcen . Rene Basset.

[5] . الجزائرفي عهد الاتثروبولوجيين، لجان فليب ليكاش وجان كلود فيتون ، ص 197

النعرات الظاهرة بين الأعراش إلا أن هده الوحدة العروشية لم تتشكل شكليا إلا خلال القرن السادس عشر الميلادي وبالتحديد سنة 1548 شاملة أعراش بني منـــير و بني وارسوس وولهاصة الغرابـة واسلاف الكومية[1] وهي أعراش بني مسهل و بني خالد قبل أن يتفرع منها بني عابد وجبالة [2] التي خضعت كلية لقيادة السلطة الإسمية للسلطان العثماني ، ومرد انصياع أهالي هذه الاعراش له هو اتحادها تحت لوائه كقطب واحد لتحرير تلمسان من ويلات الغزو الاسباني[3]. ورغم الوحدة العروشية الشكلية إلا أن الفكر القبلي بقي طاغيا نتيجة اختلاف التشكيلات البشرية التي عمرت المنطقة فمن السيل البشري لقبائل بني هلال العربية التي حاولت بكل ما أتيت من قوة فرض ثقافتها وتقاليدها على أهالي المنطقة قليلة العدد ،ذلك السلوك أدى الى محاولة إحداث انقلاب في البنية الإجتماعية و الإثنية للمجتمع الثراري [4] و بالتالي إلى زعزعة تماسك وحـد ته الثقافيـة والفكرية . ومن ثم أصبح من الصعب بمكان تحديد أصل قبائل سكان ترارة بالدقـة التي يحددها الموقع الجغرافي ، لأن أصل جنس سكانها أصبح في حركية غير مستقرة ، وإن كان عبدالرحمان بن خلدون ومن بعده الأمير عبد القادر في كتاب تحفة الزائر في مأثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر ينسبان أغلب قبائل المنطقة الثرارية الى قبائل بني يفـرن وهي من الفروع الزناتـــية [5] المنحدر سكانه [6] .

1المرجع السابق / ندرومة وترارة صفحة 57
مع البيان أن سبب تسمية تلك المناطق والعراش بالكومية مرده حسب الرواية المتداولة في المنطقة عند شيوخ المعمرين منهم قاري عبدالرحمان قدور أن سكان تلك المناطق كان عندهم خطا في نطق القاف كافا ، و لإتحادهم لنصرة عبد المؤمن بن علي الدي كان يناضل ويكافح من أجل القومية فكانوا يلقبون بالقوميين، فكانت عندهم كوميين نطقا.

2 حرب ثلاثمائة سنة صفحة 329بين الجزائر والاسبانيين .د/احمد توفيق المدني .ش.و.ن.ت – الجزائر سنة 1976

3

4 تاريخ الجزائر المعاصرة المرجع السابق، ص10

5 كتاب العبر لابن خلدون ، ص14

6 كتاب تحفة الزائر في مأثر الأمير عبد القادر ةأخبار الجزائر ، الجزء الأول ، "سيرته السيفية " المطبعة التجارية غرزوزي وجاويش ــ الأسكندرية سنـــــــة 1903 ، الصفحـــة 20 و 21

من برابرة اليمن [1] الذين استوطنوا المغرب مند مدة طويلة والذين يرجع نسبهم الى سلالة مازيغ كنعان بن جاسم [2] يقال أن طوائف بربرية أخرى تنتسب الى النعمان بن سبأ [3] تنقلت الى بلاد الشام ومنها الى بلاد المغرب العربي،وهو ما يؤكده الأستاذ غوتيي [4] بقوله " أن البرابرة تفاعلوا مع الفنيقيين واندمجوا فيهم علىاعتبار أن الطرفين من أصل واحد وقد يكونوا من سلالة واحدة باعتبارهم كنعانيين لذلك ساهموا في ثقافة وحضارة قرطجنة ودافعوا عنها ضد الرومان حتى بعد غزوهم للمنطقة واستقرارهم بها ، باعتبارهم دخلاء أجانب "البربر الى شعب روماني النزعة [5] بل استمرت القبائل البربرية في عدا ئها ضدهم ، وعلى العكس من ذلك لم يستسلموا للقبائل الجرمانية الوندالية التي غزت المنطقة خلال القرن الخامس الميلادي و بالتالي لم يتفاعلوا مع ثقافتهم ، وهو ما حصل للبيزنطيين الذين فشلوا في السيطرة ثقافيا عليهم ودمجهم ضمنهم على إعتبارهم ينتمون الى شعوب الأوروبية وهذا الصمود أدى إلى صعوبة تحويل على البلاد خلال منتصف القرن السادس الميلادي ، فبغطرستهم هاجرها سكانها الى المناطق الجبلية والصحراوية فشملها الخراب[6] وبقي بفعل ذلك،البرابرة صامدون يحيون حياة مستقلة بعيدون عن مؤثرات الثقافات الأجنبية للمحتل ، ومن ثم فانهم لم يعرفوا ثقافة غير ثقافتهم، بغض النظر عن الرومان الذين بقوا في المنطقة أكثر من ستة قرون شيدوا خلالها لمدن و مسارح وعمران ومعالم ثقافية وتعليمية منها جامعة ، يكفي أن الحضارة الرومانية بمنطقة الشمال الافريقي أنجبت أعظم الفلاسفة مثل القديس أوغسطين ST AUGUSTIN .

---

[1] - تاريخ بن خلدون ، الجزء/ 6 ، - صفحة 338

[2] . حياة القيروان - عبدالرحمان باغي - صفحة 19

[3] - تاريخ بن خلدون - المرجع السابق، صفحة 183

[4] Le Passage de L'Afrique du Nord - - E.F. Gautier. P/31

[5] المغرب الكبير رشيد الناضوري . ج1 . ص287

[6] المغرب الكبير. عبدالعزيز سالم . ج1 .ص51

لكنه رغم ذلك الصـــرح الثقافي والحضاري الروماني كله فقد بقي مهمشا وسطحيا [1]، لأن البرابرة المغاربة رفضته، كما رفضت ما سبقته من ثقافات، يذكر علماء اللغات القديمة ومنهم الدكتور الناضوري و لوبون ' أن الابجدية التي يسميها الطوارق (التيفيناغ) هي نفسها أبجدية الفنيقيين التي استعملهاالبرابرة[2].

والتي لازالت متواجدة في مناطق كثيرة من البلاد مع بعض التغييرات الطفيفة و التحويرات اللفظية ، وأن أدابهم الشفاهي المحكي والمتألف من القصص وحكايات الأساطير والخرافات والأغوال و، لنجا، والاغاني التقليد ية المرتجلة لازال حتى الآن عادة متداولة بين جميع أسر و[3] أعراش القبائل الثرايـــة .وخاصة منها الحكايات التي تشيد بالابطال و الشجعان،وهو ما جعل أهل المنطقة يتحلون بصفة الشجاعة وعدم معرفة الخوف والوقوف بجانب الضعيف متشبعين بثقافة التحرر ومناصرة كل قائـد فاضل يحترمهم ويقد س عوائدهم وتقاليدهم وخصالهم، [4] يلخصهاالغزالي في أنه إذا كان رئيس المدينة الفاضلة كالقلب فانه لابد من توافر خصال لايمكن تحققها في الفرد العادي ، لأن الرئاسة إنما تكون بشيئين أحداها بالفطرة وبالطبع و الملكة الفكرية، وأخرى بالتخلق الحسن وعدم الخروج على مبدأ شرع ما قبلنا، فان اجتماع هذه القيم والخصال الفكرية والثقافية و الإخلاقية من شأنها أن تجعل الفرد يئن بالطـــاعة والـــولاء لمن يتحل بها ، وهو ما حدث لأهـــالي المنطقة لتفاعلهم مع خصال الأمير عبدالقادر رغم المخاطر .

وفي أعقاب الإحتلال الفرنسي للمنطقة أسس الأمير إتحادا ثراريا على انقاض التقسيم والتنظيم العثماني الذي حاكى الواقعية العروشيـة رغم عدم رضوخ الأهالي للسلطة التركيـــــــة

---

[1] . المرجع السابق . المغرب العربي الكبير . ص 225

[2] حضارة العرب . غوستان لوبون. ترجمة عادل زعيتر ط /2 . ص301

[3] موسوعة يونيفيرساليس. مجلد 3 . 170

[4] تحفة الزائر في مآثر الأمير عبدالقادر وأخبار الجزائر " الجزء الأول " ـ المطبعة التجارية ، غرزوزي وحاويش ، الاسكندرية - 1908، ص 21

الأهالي للسلطة التركية ، فوضـــع أعراش المنطقة تحت خلافته [1] دونما المس بالبنية الإجتماعية التي بقيت محافظة على نقاوتها البربرية. جعلتها عن معزل من الصراع الذي كان موجوداً بسبب الوجود الفرنسي . [2] ، الذي استعصى عليه تغيّر البنية الإجتماعية و التركيبة السكانية لمعاشر وأعراش المنطقة ليسهل له تقليص الترابط والتماسك الإثني لذى الأهالي ، فبالرغم من سياسة الاشغال الشاقة إلى الضرائب الفاحشة والمختلفة والمتنوعة التي فرضت على أهل المنطقة إلى الغرامات الجزافية وما يليها من مصاهرة أراضيهم لتجريدهم من هويتهم البربرية المشفوعة بلسانهم العربي إلى توظيفها إلى ثقافة ابرازا للنعرات كاعتبار القبائل البربرية أعداء فطريون للعرب [3] حتى يمكنها فيما بعد غرس ثقافتها التي جاءت من أجلها [4] مهتدية إلى سياسة فرق تسود مع من منح العائلة الواحدة عـــدة ألقـــاب ليسهل عليها بعـــد التغلب عليهم وعلى نعراتهم العصبية ونخرها من الداخل بتفكيك الترابط العائلي الناتج عن نظام سجل الحالة المدنية والذي شتت بإعطائها الواحدة بإطلاق عليها عدة ألقاب ذلك للتقليل من عصبيتهم العاطفية حتىتضعف بعدها السلطة الروحية للقيادة القبيلة ، لجعلها ممكنة الرضوخ لثـــــــــقافة الأجنبي [5].

ولعل السبب الذي جعل فرنسا تنوع من سياساتها في المنطقة لجعل أهاليها يتقبلون إرادتها هو ما أصاب المنطقة خلال الفترة الممتدة ما بين 1851/.45 بأوبئة وأمراض خطيرة من بينها الكوليرا والقحط المحلي الرهيب الممزوج باليأس وبأزمة ألحقت ايلاما بالاهالي الفلاحين الناتج عن الجفاف وغزو الجراد .

كل هده مؤثرات كانت تصبو لمحاولة تجريد منطقة ثرارة من ثقافتها التقليدية المتمثلة في العادات والتقاليد والعرف،و تفتيت طرقهم الدينية وغرس البذائل عنها ، إلا أن ذلك لم يزد

---

[1] .ثرارة بين التقاليد والحداثة . لاشراف فرجي ـ جامعة وهران ـ مركز البحث في الأنتروبولوجية. موضوع نشر في مجلة المركز عدد 8. شهر مارس و افريل 1998

[2] مجلة المعرفة ـ العدد 225 نوفمبر 1980 ـ موضوع عن البنيوية للدكتور جمال شحيب

[3] . تاريخ الجزائر المعاصرة ـ المرجع السابق ص 63

[4] . تاريخ الجزائر ج2 . مبارك الميلي . ط/2 . بيروت . سنة 1963. ص38

[5] . نفس المرجع. تاريخ الجزائر المعاصرة . ص51

الأهالي إلا اصراراً وتمسكا وتعصبا في أوقات كثيرة للمحافظة على قيمهم الثقافية بانساقها الموحـدة ، غير أن ذلك لايعني أن التشويه القصري الذي تعرضت له المنطقة لم يؤد هـدفه ، بل أن فـرق عديدة انسلخت جزئيا أو كليا عن إنتمائها الحضري البربري [1] وأصبحت مع مرور الوقت تتنكر لثقافتها الإثنيـة. اللهم العادات والتقاليد وبعض المفردات والكلمات التي توحي بالموروث الثقافي الأمازيغي والتي لازالت توحي بعدا ثقافيا واجتماعيا بلكنة صوتية بربريـة المنطقة وسكانها ، وتظهر جليا تلك اللكنة خاصة في جانبها الروائي الحاكي للفرد الذي لطبيعة محيطه الإجتماعي كما يقول أرحي العقائدي . لم يثأثر لبقائه راسخا في وجـدان افراد المجتمع لتثبت الفرد الأهلي بالحكاية وبمحيطه الطبيعي [2] ،وهو ما نلمسه من خلال محاكاة الواقع الثراري والغوص في أعماقه لتجلى أكثر العناصر الثقافية [3] المنقولة عن طريـق المشافهة في شكـل الحكاية الشعبية أو الحركات الفنية و الأمثال الشعبية و النبرة الإثنية ، وأن كانت العوامل التاريخية للتغيير و التحويل الإجتماعي [4] لم تؤد إلا نادرا لقيام نظام إجتماعي معين ، ذلك رغم الأزمات البنيانية التي عرفها المجتمع و التطور الذي عرفه إلا أن ذلك في غالب الأحيان لم ينقل المجتمع من مرحلة إلى مرحلة [5] فيما نجـح في إندثا ر اللهـجـة البربريـة .

---

[1] .المرجع السابق تاريخ الجزائر المعاصرة. ص107

[2] . .المرجع السابق لعبدالرحمان بن خلدون. ص 710

[3] المرجع الستابق . اميل جانيي . ص 16

[4] .أطروحة الأستاد عمر يـزلي . المرجع السابق . ص 186

[5] .في الدكتاتورية لموريس دوفرجيه ، ترجمة الدكتور هشام متولي ، منشورات عويدات ، بيروت . باريس.ط 1977، ص5

اندثار اللهجة البربرية وتعويضها بالعربية خلال خلافة الكوميين جعل من الأهالي الثرارية توصف بعرب الواسطة ، بمعنى الكوميين جيل إثنيته بربرية بلسان عربي ، فكان وسطا ما بين البرابرة والعرب.

لذلك حتى المسنين لا يتذكرونها إلا كطيف جميل،اللهم إلا بعض المفردات والنعوث التي لازال البعض منهم كما سبق يتلامزون بها أثناء لقائاتهم .[1] لقد ضاعت اللهجة البربرية لأهالي المنطقة بفعل التأثير الديني وما قام به العرب في إجبارهم على التكلم باللغة العربية [2] وزادهم ذلك تشبع شيوخهم بالمذاهب الصوفية الطرقية المرابطية التي كان لها دور في القضاء بشكل نهائي على اللهجة البريرية عن طريق التأثير النفسي والسوسيولوجي الديني على نفسية الأهالي الثرارية وتذكيرهم بأنهم من أصل سامي [3] لغته في الأصل هي من اللغة العربية المنشقة من البربرية .[4] إلى إعتقاد هم أنه من ليس عربيا ليس مسلما ، حتى أصبح بفعل هذا الفهم الخاطئ قولهم أنه لايجوز الإسلام لغير العرب دامجين بين الملة والهوية بالديانة والمعتقد [5].

ولعل كذلك من أسباب إندثار اللهجة البربرية هو تفاعل الأهالي مع حركة الدولة الادريسية التي جعلت من البرابرة الأمازيغ أبناء عمومة حتى يمكنها من التقرب منهم وربط العلاقات الدموية بالمصاهرة و الاختلاط ليحققوا أهدافهم السياسية وهي اخضاعهم تحت سلطانهم ، لعلمهم المسبق أن البرابرة ثائرون ضد الوجود العربي في المنطقة وأن أملهم كان الاستقلال عن العرب وتأسيسهم لدويلاتهم المستقلة فعليا عن الآخرين كما يقول المؤرخ اغسال [6] لكراهيتهم الشديدة للقبايل العربية الهلالية المتواجدة بالضفة الجنوبية لنهر تافنة

---

[1] . السيد بشار من سكان قرية تاوية لعرش بني مسهل .لايزال يتذكر أنه كان يتكلم باللهجة الأمازيغية ، أما اليوم لا يتذكر الا البعض من الكلمات.

[2] بن شنهو. المطبعة ال. معرفة المغرب العربي . عبدالحميد شعبية للجيش . الجزائر سنة 71. ص240

[3] . القبائل العربية في المغرب. د.م.ج .ابوحنيف احمد عمر ط/82. ص65

[4] .تاريخ الجزائر المعام . عبدلرحمان الجيلالي . المطبعة التجارية . سنة 71. ص 245

[5] . هدا الاعتقاد كان سائد في مخيلتي وأفكار سكان عرش بني مسهل

[6] . تاريخ الجزائر . مبارك الميلي . ط/ 2 سنة 62. ص38

خاصـــة منها لقبائل العربيات شتما وتحقيرا لقبائل اولاد رياح وبني يعقوب والجويدات ومـا تحمله من ابعـاد حضارية وتراكمات فكريـة .فإدماجهم مختلف الأشكال الفنية والثقافية والتي هي مرجعيات ذات بعد بربري أمازيغي بربري ، هذا لاينفي إحتفاظهم بمرجعياتهم الثقافية والانثروبولوجية التي تحيل عليها الحضارات القديمة ومنها الحضارة الرومانيا .

وإن كان أساس الشقاق المستمر بين العرب والبربر هو ما يوضحه ابن خلدون في الصراع القائم بين قبائل كتامة والاغالبة [1] والذي بسببه عاش أهالي المنطقة منطويين على انفسهم في منطقتهم الثرارية للمحافظة على بنيتهم الاجتماعية ، غير أنه بمرور الوقت أصبح الصراع البربري العربي هو صراع له مدلول ثقافي إثني عند أهل المنطقة . وبالتالي فالكراهية و الصراع مع الأجنبي هو سلوك عندهم اعتيادي [2] وذلك للمحافظة على قيمهم الاخلاقية،إن ظاهرة الصراع القبلي بين قبائل اعراش ثرارة والقبائل العربية النازحة الى المنطقة ، لازالت تثنم الى اليوم غالبيتها العظمى اليه ، وإن كان ثم اخماده أبان حرب التحرير لكنه مافتئ أن ظهر بعد الاستقلال في شكل سلوكات لاوجود لتفسيرها عند عامة الناس،مترجما انتسابه الى ثقافة ضاربة جدورها في اعماق التاريخ البشري، نابع عنها شعور خاص لدى الأهالي باتباع عوائد وتقاليد معينة ، ويتجلى عندهم خاصة في الصراع الإثـــني الموجود الى الآن بين مداشر سكان ثاوية ومداشر سكان عين فتاح التابعتين لفخض زغادة لعرش بني مسهل ، فرغم وحدة ثقافتهم الاجتماعية ووجود تدا خل عرقي بالمصاهرة الا أن الشدود والرفض بينهم لازال موجودا لانغماسه في وجدان بنيتها الاجتماعية [3] .

---

[1] . المقدمـــــــــة الاجتماعية . لجمال شحيب ، نشر في مجلة المعرفة في العددين 225و226 لشهر نوفمبر و ديسمبر 80. "اد يقول ان البنيوية هي ساكنة غير المتحركة في الزمان. عبدالرحمان بن خلدون. ص 424

[2] . نظريات الإدارة العامة . مطبوعات جامعية للسنة اولى ماجستير حقوق 80 19. جامعة الجزائر . ص 16 وما بعدها

3. الطبقات الاجتماعية . بيار لاروك. ترجمة جوزيف عبود كبه. ط، 73؛ ش.و.ن.ت. الجزائر العاصمة . ص 19. موضوع عن البنية و المكان و كأنها معزولة عن السياق التاريخي و الاجتماعي و المكاني الدي نشأت فيه.

مع التذكير أنه رغم هدا الشدود السلبي إلا أنه من جانب أخر ، فلقـد زاد دلك من تمتين الترابط الثقافي تماسكا، والظواهر الانثروبولجيا المختلفة تفعيلا،في الأسر بمختلف أصولها من المحافظة على ثراثها الطبيعي قصد تحديد نفودها الإجتماعي داخل الاطار العام لاعراش المنطقة ،ويتجلى ذلك في الدفاع الاجتماعي العفوي عن وحدة الفرقة رغم الصراع والكراهية الكامنة في نفسية افرادها لتشبع عاداتهم بالرو ح الوطنية.، والمكتسبة [2] لديهم من خلال هدا البعد الانثروبولوجي .[3]

ورغم البساطة التي يتحلون بها الواحية بادعانهم للسلم ، إلا أنهم محاربون محبين لها، شجعان عنيدون زادتهم قساوة الطبيعة باحراشها الصعبة وجبالها واحدة من عادات وثقاليد الوعرة ايمانا بقوتهم وبفكرهم ، فهم قوم لايرامون الدل و لا ينالهم من استطال عليه بالسؤ[4].

في هدا الزخم لصراعات ثقافية مختلفة المشارب والألوان تولد بالتحاكي وبطرق غير محسوسة لمجموعة من شعائر المنظمة لأفراد الثراريين خلال المناسبات المتعددة لذلك كان الزواج عندهم بشكل مختلف في إجراءاته وطبوعه عن الأعراش الأخرى ، متشبع بالمورث القبائلي البربري ، وناهلا من الثقاليد العربية الإسلامية ، فهو عبارة عن مزيج لعدة طبوع ثقافية أختصرت كلها مجتمعة في ثقاليد واحدة ، هي الثقاليد الثرارية.

---

[1] الطبقات الإجتماعية . المرجع السابق. ص 36

[2]. المرآت . حمدان بن عثمان خوجة. تقديم وتحقيق. محمدالعربي الزبيري. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر العاصمة . الطبعة الثانية . 1982. ص 56.

[3] ، صراع الطبقات . ريمون آرون . ترجمة عبدالرحمان كاتب. منشورات عويدات. بيروت. باريس. ط، سنة 1965. ص195

[4]. تحفة الزائر للأمير عبدالقادر ، المرجع السابق ، الصفحة 22

المبحث الثاني : البعد الفكري والثقافي لمنطقة ثرارة

إن آثار البناء وبقايا العمران التي تكثر بمنطقة عرش بني مسهل كلها تشهد على أنها منطقة كانت تزخر بالعمارة والعمران وإن كان لم يبق منها إلا الحكي و الرواية بالمشافهة [1]نقلا من جيل الى جيل لانعدام العناصر التاريخية المكتوبة، بسبب ما عرفته المنطقة من أزمات متعددة الجوانب [2] والتي أثرت كما سبق الذكر في المجتمع الثراري وذلك من خلال ظهور سلوكات اجتماعية مستوحاة من ثقافة الحرب واللا أمن مؤثرة في البنية الوظيفية للمجتمع المسهلي، وذلك بظهور التقاليد وعوائد جد يد تين مجهولة الملة والمصدر ، إلا أنه بتعاقب العصور والأزمنة [3] أصبح من الصعب بل من المستحيل التمييز ما بين ثقافة المنبث وثقافة الأجنبي أو الدخيلة ، اللهم إلا أن الثقافة المستنبطة من الحروب والغزوات قد جعلت من العرش يعتمد على أفراده بتكوينه العصامي للوحدة الإقليمية المستقلة الذات عن بقية الأعراش الأخرى يضبط تسيير وظائفه داخل اطاره الإقليمي مجموعة من الأعراف والعوائد [4]المنحدرة من رحم الحضارات القديمة [5].

إلا أنه من المؤكد أن الكوميين البرابرة منحدرون من مداشر بني فتاحن ا لمتاخمة لجبل فلاوسن من الجهة الجنوبية لخندق جبل المنشار وبأرض الدموس [6] قد هاجروا منطقتهم بفعل الحملات المتكررة والشرسة الهيلالية وما تعرضوا له من شتى

---

[1] . من تصفية الإستعمار الى الثورة الثقافية . أحمد طالب الابراهيمي، ترجمة حنيفي بن عيسى . عن المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع . ص

[2] NEMOURS et sa Region. .o.v.C-. **P/ 16**

[3] ثلاث دراسات لابن خلدون

[4] . الاستعمار الفرنسي لعدي الهواري. المرجع السابق . **117**

[5] .أصول التخلف في الجزائر . دحماني بلقاسم. أطروحة لنيل دكتورة الدرجة الثالثة عن جامعة وهران .ط/ 81. 120 ص176.

[6] .لازالت بعض الآثار لمداشر بربرية شمال بلدية عين فتاح ، وبعض المغارات والكهوف التي كانت مأوى سكان المنطقة خلال الكوارت مثل غار عين افتاح و غار الحوزة وغار الضلماة

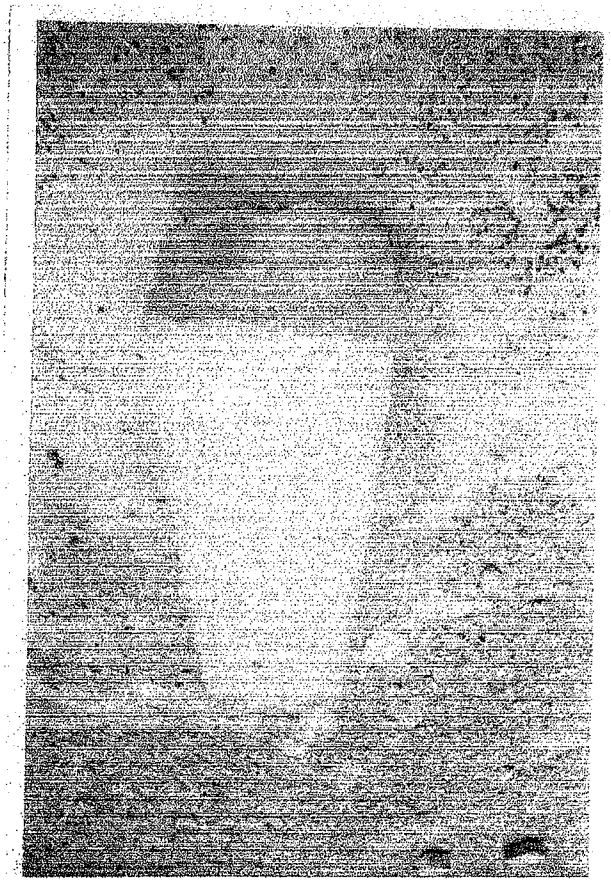

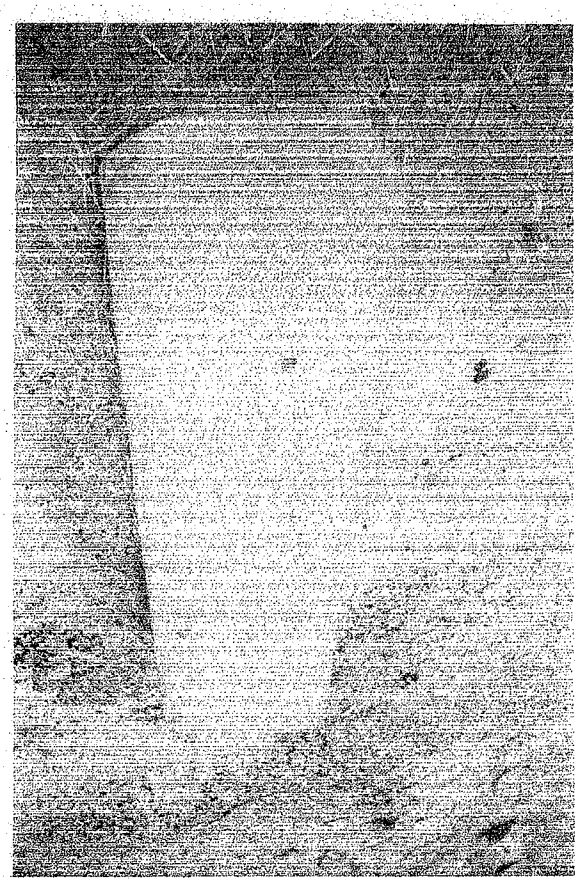

أنواع الضغط والاكراه وهم الذيـــــن كانوا أسيادا أحراراً [1] فغادروا مدينة كـــلاما [2] الرومانيا في عهد موريطانيا القيصرية التي كانت تتوسط مغنيـــة حاليا (نميريم سيروري) ورشقـــون ، (سيقا) تلمسان (بوماريا) ،[3]وهو ما يدهب إليـــه العلامة عبد الرحمان بن خلدون وتؤكده الآثار البونيقية الرومانية التى لا زالت قائمة وشاهدة على الوجود تلك المدينة رغم الإهمال والتسيب الذي تعرضت لـه . فهروب الآهالي البرابرة إلى الجبال انقادا لحياتهم وابنائهم ولثقافتهم من الانسلاخ ، موزعين الى ثلاث شيع أو فروع كومية منها بني أيلول التي ينحدر منها الثراريون ، ويسود الاعتقـــاد أنهم نزلوا بالجهة الشمالية لجبل فلاوسن مشيدين مدينـة فلاوسن حوالي سنـــــة 892 وهذا حسب الجغرافي العربي اليعقوبي في كتابه ' كتاب البلـدان' ، وعلى أنقاض هذه المدينة شيدت فيما بعـد مدينة ندرومـــــة [4].غير أنه ولظروف غامضة ومجهولـــة هجرها أهاليها البرابرة مرة أخرى فارين إلـــــى الجبال المحيطة بها في شكـــل مجموعات د مـــوية وبطـــون حسب الإنحدار العـرقي و الإثني لتبقى محافظة على قيمها الثقافيـة والفنيـة من عادات وتقاليـد [5] ، قبل أن يلتحق بهـم المطاريون مكونين فرقتهم السومارية على أرض ســامر وأولاد ابراهيم وهاشـــم وشافـــع مكونين فرقـــة زغادة على أرض زغدلـــو، أما المهاجرون من بنـي راشـــد و الونشريس فشـــكلوا مع بني يعقـــــوب وبني عامر

---

1. La Barbarie Marçais .G eorges Musulmane et L'Orient du Moyen Age O.v.c P/43 .

2 كلاما هي مدينة رومانيا اندثرث .توجد بالمنطقة المسماة ا لدموس بالبرج حاليا على بعد حوالى ثلاث كلم من مفترق الطرق الطريق الوطني 5 على الجهة اليسرى منه . والتى بعد اجراء الحفريات بها سنة 1886 . ثم العثور على قطع اثرية وضعت بمتحف وهران . وثم نشر الاكتشاف بمجلة مرسسة ا لجغرافيا والاثار لسنة 1886 عدد 304. وفي سنة 1958 حسب سكان الداموس ، فان الحفريات قد أقيمت غير انه نتيجة الحرب التحريرية توقفت لدلك لازالت حتىالآن هناك آثار رومانيا مردومة ومنها جداريات مرمية على الأرض

3 تاريخ البرابرة . عبدالرحمان بن خلدون . المرجع السابق ص 25

4. Gilbert. Grand. NEDROMA Evolution d'une Medina . lieden. 1976. P/7 .

5 جزائر الانثروبولوحيون لجان فليب فيتون باريس 1975 ص 197.

فرقة اتحاتة قبل أن تتحول إلى فرقة الرقايع [1] هذا التحول و الاختلاط الإثني بين أعراق مختلفة أفقد ألاهالي لهجتهم البربرية بفعل حلقات الصراع بين البطون المختلفة المنتصرة منها والمنهزمة ، إلا أنه بفضل قدرتهم على مقاومة قساوة الطبيعة والتأقلم والتكيف معها نجحوا إلى جد بعيد في فرض على منافسيهم شعائرهم وطقوسهم الإثنية [2] وتعلموا مع هول الزمان وتجاربه ومايخبئه لهم الإيام من كوارث متعددة طبيعية وبشرية أن يحتاطوا للمخاطر في شكل اتحاد عفوي عند ما يكونوا العدو خارجي رغم النفور والعداوة المتجدرة ما بين فرق عرش بني مسهل يشبهون الى حد بعيد هنود البابلوس في وسط امريكا ، في السلم مشتتون ، ليجتمعوا في زمان الحرب ، وهو ما كان يفعله القوط و الوندال [3] كتعبير للولاء الثقافي، مشكلين بهدا عقدا معنويا شبيها بالعقد الاجتماعي لجون جاك روسو [4].

فالتنظيم الاجتماعي رغم قيامه على مبدأ التنافر والنفور ما بين الأعراش والبطون إلا أن هذا التنظيم تتحد علاقاته الإجتماعية ما بين أهالي الافراد الثرارية بسبب تنازلهم على الاحقاد والغيل الشخصية والنعرات القبائلية الضيقة لصالح المبادئ العامة للعرش.

---

[1] . بحث تسلسلي عن ندرومة عن مجلة المغرب المسلم العدد 10 لشهر ديسمبر 1971 ص 50 ، لرقايع مصدرها رقعة بمعنى قطعة ارضية

[2] . روني باصي المرجع السابق ص 5

[3] . السلطة السياسية لجان وليام لابيار ص33

[4] . عدي الهواري المرجع السابق . الاستعمار الفرنسي في الجزائر . سياسة التفكيك الاإقتصادي والإجتماعي 1830-1860. ترجمة جوزيف عبدالله . دار الحداثة للطباعة و النشر والتوزيع. بيروت 83

غيـــــر أن هذا العقـد معنوي عفوي لا يعترف بتوقف الزمان [1] لإنصهار ثقافة الصراع [2]والانفعالات الناشئة عن الحرب في نفسية المسهلي [3] نتيجة لما تعرض له من إبادات جماعية ســواءاً كان عن طريق الأوبئة أو الغزو [4] والتي استطاعت أن تنخر جسم فرق وبطون عرش بني مسهل السبعـــة التي كانـــت تشكله وتؤلفه وهي أولاد سلام وبها بطون أولاد بوشعيب وأولاد طلحة وأولاد بوفليقـة ، وفرقة زغـادة و هي تظم عين فتـــاح أو زغادة أهل الدار أو الضهر ، و زغادة رقايـع أو تاويـة ، ثم فرقـــة أولاد بوزبيب وتظم أولاد بن ويس المتواجدة بين قـبة سيدي يعقوب وسيدي مسعود ، ففرقتة بني راشد ، وبني يعقوب ، وفرقة بني عامر مكونين جميعهم دشرة بالغـــربة نحو الجـــــنوب الغربي لعـين كرموص ، قبل أن ينتقل هذا التجمـع البشري من المنطقـة المسماة رقايـــــع السابق الإشـــارة اليها في منطقة تاويـــــة ، مكونـــــين قبيلـة تاوية قرب منصب عين تاويـــــة و بها استقروا واستثمروا في الميدان الفلاحي منشئين للمزارع والجنائن، موزعين مياه العيـــن المتدفقة حسب مناب كل فرقـة من فرق أربعـــة وهي: اولاد علي ، واولاد بن أحـــــمد و بنتـا وانـــزا،وأولاد براهيم .فعرش بني مسهل بهذا الشكل الحضاري المتعدد الأجناس يعتبر من الأعراش الكوميـــة القـــديمة الذي كان ينتمي أهاليـــه قبل فتحـــه ودخول العرب اليه إلى

---

[1] . احد رجال الدولة الرومانيا وهو كانون كان يعتقد ان التالريخ يتوقف

[2] ـ انظر الخريطة المفصلة لعرش بني مسهل

[3] .كتاب العبر / الجزء 11 عن دار الكتاب اللبناني لعبد الرحمان بن خلدون سنة 81 ص 176

[4] المرجع السابق تحفة الزائر في مآثر المير عبدالقادر ، ص 209

الاعراش البربريـــة بني فتاحن المنحدرة من الكوميـة وذلك خلال الازمنة القديمـــة [1] . فأراضيه صعبة بأحراشها ومسالكها ، فهي منطقة جبلية تكثر بها المنحدرات والثلال الوعرة بها جبال فلاوسن أو قل سلسلة الجبال الثلي ، فجبلي الناطور الكبير والناطور الصغير وجبـــــلي المنشار والجنبية [22] وفي قواعد هذه المنطقة وفي جنباتها كانت تتموقـع الآ هالي مكونين مدارشها حيـث ينابيـع العيون والمجاري المائـية أين تكتر المزارع الخلابـة باشجارها المثمرة وخاصة شجر الزيتـــون والتـــــين والعنـــب ، وبسبب هده المزارع كانت تقوم النزاعات علـــى الأغراس والثمار وعلى منابع العيوب والانصاب وكـلأ المراعي؛

غير أن النزاعات القبلية بين الأعراش الثرارية وبين أهالي الأعراش الأخرى وما تعرفه من خصومات ما لبـث وأن خفت حدتها خلال الحكم يوسف بن تاشـــفين في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي ، ولتنتهي بتولي عبد المؤمـــن بن علـــي بن مخلوف التاجوري الكومـــــي [3] الذي تولى حكم المنطقة خلال القرن الثاني عشـر الميلادي واستطاع من التوفيق ما بين الأعراش القبائلية وتنظيمها في شكـل أعراش موحـــدة للدود عن سلطانه ، وصون حكمـــه إيمانا منها أن عبد المؤمن بن علـي هو منهـا متناسية من خلاله كل الضغائن والأحقاد الى حـين ، إلا أنه بعد ضعـف شوكـة الدولـة الموحـدية برزت النعرات العصبية العروشية للسطح من جديـد وطفت الترسبات الآثنية القديمـــة بهجوم قبيلة على قبيلة و

---

1 EMILE Janier Nemour et sa Région Bultin de la Geographie, P/

2 يربط سمير أمين ، العمران الامازيغي بدهنية السكن في الآعالي وبالسكنات الحجرية كما يربط العمران بنمط الانتاج المستقر

3 .سمير أمين المغرب الحديث ، دار النشر مينوي ، باريس 1970 ص 17 - مج بالفرنسية

تجريدها من ممتلكاتها وأموالها وأحيانا [1] أخرى سبي فتياتها ونسائها، ،ومن ثم بانت ظاهرة الثأر الذي استفحل في المنطقة الثرارية مما أدي إلى ظهور نظام الخماسة كظاهرة اقتصادية واجتماعية ، والذي يهدف إلى حث الناس على حمل السلاح والدفاع عن الفرقة [2] ، والذي ليس بمقدوره يقوم بخدمة أرض من يحمل السلاح والدفاع عن أموالها وشرف أهاليها وهدا بالخمس، فالصراع بين القبائل الترارية [3] وبين القبائل المتاخمة لها عبر حدودها المترامية ، وخاصة منها قبائل بني زناسن وأهل انقاد والعريبات كان المحرك والدافع لظهور ظاهرة الثأر وبشكل لم تشهده المنطقة ، هذا ما جعل الزيجات عندهم تتم في الفضاء الداخلي للقبيلة إن لم نقل في العائلة ، وذلك راجعا إلى الصراعات التي كانت موجودة ما بين القبائل والأعراش المختلفة الأخرى ، وإن كان هذا الصراع الثأري لم يمنع من ظهورفترات من السلم والوحدة ،كالسلم والمصالحة التي انعقدت ما بين الأعراش الثرارية سنة 1548 بمعرفة الشخ المرابط سيدي عبدالرحمان بزاوية اليعقوبي[4] لصد الخطر جيوش فاردينون الكتوليكي وشارل كانت [5] (2)FERNAND LE Catholique , CHARLES Quint ، وبفضل هذه الوحدة

---

[1] .روني باسي ندرومة وترارة / دار النشر لروس ، باريس 1901 ص 56و57

[2] ع، بناشنهو معرفة المغرب ،دار النشر الشعب العسكرية ، الجزائر 1971 ص 287

[3] .اميل جانيي ندرومة وناحيتها ، نشرية الشركة الجغرافيا والآثار 1950 ص 9

[4] EMILE Janier O.V.C - P/9

[5] JOSEPH Canal – Les Villes de L'Algerie 'Nemours' – Monographie de l'Afrique Française- Paris – Barbier –libraire. 1888- P/24

شارك الثواريون مع جيش عروج في معركة قرب المكان المسمى بسيدي موسى بن براهيم المتواجدة بعرش بني منير .[1]

غير أنه بجلاء الأسبان أنفلى سلمهم ولم يعمر لبقاء نار الاحقاء موقدة اتجاه العنصر العربي المنبود عندهم. ، رغم أن أصل عرقهم مشترك هو سامي [2]. و في غضون القرن السادس عشر خضعت المنطقة الثرارية للسلطة الأسمية التركية [3]، وإن كانت سلطتها لم تخور في أعماق العنصر الثقافي للمنطقة بالشكل الذي قد يؤثر في ثراتها الفكري و في بنياتها الإجتماعية التي [4] بقيت بين أيدي أفراد أهالي العرش [5] ومرجعيتهم عدم توغل سلطلتها العسكرية والإدارية الى أعماق المنطقة لعلمهم الإبستيمولوجي أن الأجنبي ممقوت عندهم وأن البربري جنس غضوب ومحارب ، محافظ شديد الغيرة على حرمة معتقداته لا يتأثر بثقافة الغير دون ثقافته وأن صراعه مع القبائل والأعراش[6] لم يكن صراعا ماديا من النهب والسرقة فحسب وإنما كان صراعا له ابعاد ثقافية بين المفاهيم المدهبية المختلفة .

لذلك فإن عبدالمؤمن بن علي إدراكا منه أن الثواريين يحبون الحربية والتحدي جعله ذلك يتبنى مصائرهم مناصرا لعواطفهم وأمالهم متخذاً من افكارهم الثقافية و من سلوكاتهم اليومية مرجعيات يستنبط بهاحلول أهوال الزمان.

---

[1] .حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا ــ لاحمد توفيق المدني ــ م. و .ن.ت، 1976 ص 329

[2] JOSEF Canal O.V.C- les Villes d'Algerie 'Nemours , extai. de la revue de l'Afrique Française ,publie par la bibliotheque de la revue de l'Afrique Française –Paris 1888.P/9

[3] .كتاب العبر ، الجزء 11 ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت -1981، ص176

[4] Nedroma les Pays Traras O.V.C P/ 16

[5] EMILE Janier O.V.C 4. et 18

[6] الطبقات الاجتماعية ، لبيار لاروك ، ترجمة جوزيف عبود كية ، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1973 ص

هده الخصائص والمقومات الفكرية هي التي جعلت الثواريون يناصرون الامير عبدالقادر ويتبنون مراميه ويشاركون معاركه في كل من معركة ايزلي [1] وسيدي ابراهيم [2] ولم يحيدوا عنه رغـــــم ما تعرضوا له من بطش وإبادة ومصادرة لأسباب الرزق [3] إلا أن الرجل الثواري بقى عند موقفـــــه ثابتا رافضا الخضوع للإدارة الفرنسية [4].

---

[1] GOSEPH .C – O.V.C .OVC. les Villes d'Algerie 'Nemours' , extrait de la revue de l'Afrique Française publie par l a bibliotheque de la revue de l'Afrique Française, Paris 1888, P/9

[2] GILBERT. Grandguihaume- Nedroma l'evolution d'une Medina ED LIEDEN-EJ Brill .1976.P. ILLISIBLE

[3] .فإن جدنا الحاج محمد بن عثمان ، الدي كان قائدا لعرش بني خلاد قد قتل من قبل السلطة الفرنسية لاكتشافه رسائله المرسلة للامير عبدالقادريخبره فيها عن مستوى تنظيم جيش الاهالي، وهو يدكره اندري لكوك في l'Histoire des debuts de la colonisation dans la subdiviton deTlemcen . publier à Oran 1941- P/41.43

إن عائلة جدنا الحاج محمد بن عثمان رغم الإضطها د الدي تعرضت له بفعل تصرف والدها، بسجن أفرادها ومنع البعض منهم من الإقامة في عرش بني خلاد ، مما أحد أبنائه وهو السي عبدالقادر بن عثمان قبل نقله الى السجن من التخلص من نسائيه بتطليقهن ظانا بنفسه أنه في تعداد الأموات ، وبعد تطليقهن تنازل لهن ولأبنائه منهن على جميع أملاكه العقارية ، غير أنه وبعد الافراج عليه منعته الادارة الاستعمارية من العودة الى عرش والده ، فكان منفاه عرش بني مسهل لاحقا البعض من إخوته الدين سبقوه بعد أن غيروا لقبهم

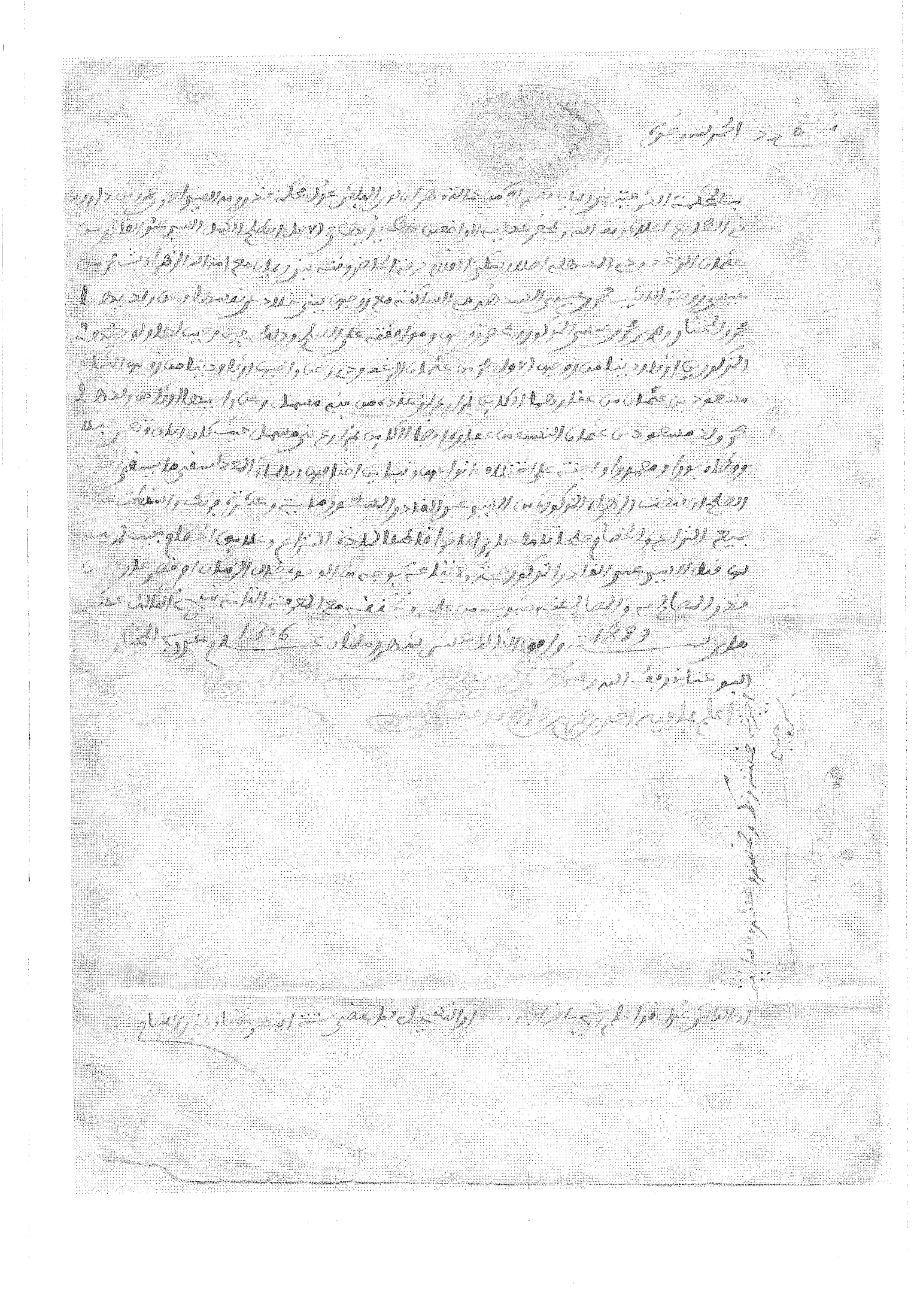

إن أنغماس الثراريون في تراثهم الثقافي المتشبع بقيمهم الأخلاقيـة من عادات وتقاليدالمسيرة [1] لمناحي حياتهم اليومية [2] المستوحاة من تجارب الأجداد، ومن حركات نقلاتهم الثورية من الحياة الغريزية إلـى التفكير الجماعي [3] المنشئ لمصدر. القواعد الاخلاقية المحددة للسلوك الواجب إتباعه حيال الظواهر الاجتماعية الطارئة، [4] هذا الموروث الثقافي هو المكبل الوحيد لحرية إرادة الثرارية في تغيير نمط الحياة اتباع سلوك تجرؤ معه على مخالفة ما أستقر عليه الضمير الجماعي من قواعد عرفية مرتبطة بحرية الفرد وولاءه لها مستمدا ذلك دون قصد من مقولة جاسبير المنقولة عن القديس أوغسطين [حب وأفعل بعد ذلـــــك ما تريد] فهو يحب ثقافته ولا يريد لها بديلا حتى وإن كان يجهل التفاصيل العمومية [5] لأنها بكل بساطة غير معروفة لديه لعدم بحته في أصولها خوفا عليها من تأثيرات الثقافات الأخرى ، مزاولته على هذا السلوك في الحياة ، أصبح لديهم بمرور الوقت صفة يتحلون بها [6]. فالإنسان الثراري مقدر لثقافته وتقاليذه ويحبها حب التقديس تبعا للمقولة الفلسفية القائلة " لايمكن أن توجد قيمة بدون حب ، فحب الشئ يعطيه قيمة " ، فحبه لقيمه الفنية والروحية جعله متماسكا ثقافيا مع مجموع أفراده كالخلايا في الجسم الواحد تماسكهم هو جوهر إلتزام

---

[1] . KARL Juspers- Introduction à la Philosophie, Trad par J.HESCH - Plon. 1962- P80

[2]. GABRIEL Marcel – les Hommes contre l'Humain, 28° ed, la Colombe Paris, 1962, P/41

[3] ARISTOTE , Marcel O.V.C.P/98. EMILE Durkheim, Leçons deSocio Phisique ETHIQUE de Nicomque ,Trad .J.Vailquin .1940 .P/6. 11

[4] . Revue de l'Occident Musulman. N°10. P74&77

GABRIEL. des mœurs et du du Droit .P.U.T 1950/257-

[5] - أبو زهرة ، أصول الفقه ط. 1957 / القاهرة ص 7 6 عبدالوهاب خلافه اصول الفقه ، القاهرة ،ط 1947 /ص 106 وما بعدها 2.النظرية العامة للقانون للدكتور سمير عبدالسيد تناغو ، منشأ المعارف بالاسكندرية ط 1986 ص .161. K. JASPERS, OP. CIT . P./.80 .

[6] KANT. Fondements de la Metaphysique des Moeurs, Trad par. DELBAS – Libraire Delagrave- Paris 1962 , P/75

. La Place de L'Homme dans le Monde TELHARD DE Chardin. union Géneral d'éditon, -62. P/32

بمجموع العادات [1] المؤدية في تفاعلها داخل المجتمع الى مجتمع بطريقي ، رب العائلة المسيطر والمسير على من هم تحت رعايته ، وهو صاحب الحق المطلق عليها وعلى أفراد أسرته، لا يرد له أمر كما يقول روني مونيي أثناء دراسته للعـــائلات القبائلية ومقارنتها بالعائلة الرومانية البذائية [2] وهو ما ينطبق على المجتمع الثراري حتى نهـــاية القرن الماضي ، قبل أن تهب عليها مظاهر التغيير و التحويل من العائـــلة البطريقيـة الإكثـانية إلى العـائلة الزواجيـة النـووية والمتـكونة عـادة من الأبوين والابنـــاء الـذين يعيشون معهما تحت ســـقف واحد [3].

مع التبيان أن المجتمع الثراري القبائلي سبب محافظته على هذه السكنات لعائلة واحدة لما لها مـن أصل واحـد، لذلك فإن وحـــدته القبائلية مرده هو إنفراد ذوي القربى من العـــائلة الواحدة في تكوين مجموعات سكنية حتىإلى تشكيل للمفهوم الشكلي و العضوي للعائلة الجزائرية الحديثة والمعاصرة ، وهي أن الأبناء يتركون بمجرد زواجهم أصبحت العائلة البريرية يقال عليها بأنها خلية الشعب ، إلا أن تطور المجتمع ومـــا مسته من تحولات في بنياته أدىللبيت العائلي الكبير ، فهذا النمط الاسري الجديد للعائلة الجزائرية وأن كان لم يفش على جميع ربوع الوطن نتيجة الآزمة السكنية ، والتي أدت إلى إعادة هيكلة النمط الأسري إلى نمط العائلة الآبوية إلى حين،بنائهم لبيوت مستقلة عن العائلة الممتدة . ومن هذا التحليل يتجلى لنا أن العائلة الثرارية رغم

---

[1] BERGSON H Les Deux Sources de la Monde et de la Région. **P/2 , 81 et** 129 . -

[2].RENE. Maonier- Famille Kabille et Famille Romaine –coutumes Algeriennes-, étude Sociologuie Juridique- Paris Domat Montchrestien- 1930,P/22 et 23

[3] .العائلة الجزائرية ـ التطور والخصائص الحديثة ـ لمصطفى بوتفنوشت ـ ترجمة دمري أحمد ـ O.P.U ـ الجزائر 1984،ص 31

تأثرها للتحولات الكبرى أسوة للتغيرات العميقة التي مست المجتمع الجزائري في هياكله الأساسية بنياتها الروحية والإجتماعية وحتى الثقافيـــــة ،وأن كانت ثقافة المجتمع من تقاليد وعادات بقت راسخت في أفكار المجتمع وترسباتها طابعة لجل نشاطاته الإحتفالية بين أفراد العائلة ' بمعنى أن أفراد المجتمع أصبحوا خلال مناسبات التقائهم يستعيدون ذكريات ثقافتهم وذلك سواء بالرقص أو الغناء أو القيام بطقوس معينة[1]. ومن ثم فإنـــــه يمكن القول أن العائلة الثرارية لازالت في الكثير من الجوانب الحياتية محافظة على أثنيتها وعلى ثقافة بطريقيتها واكناثيتها رغم نفخات الحـــــداثـــة معارفيتها، مع لبيان على أن نفس ظواهر التقليديه من طريقة غناء النساء في صفين متقابلين و رمي الحقوق ، هي تقاليد متواجدة في بلاد القبائل عند عرش سكتانة [2]. بيدُ أن أفكار شرع ما قبلنا المتجدرة في أعماق الإنسان الثراري لازالت تابتة وحية في وجدانه [3] تتبعت منها نفحات ماضيه الانثروبولوجي ، لذلك فإن الكثير من الرسوبات الإثنية خاصة التي لا زال الثراريون يرديدونها خلال المناسبات الإحتفالية بشيء من الإعتزاز على أصالتهم وبخاصة في قضايا العلاقات الشخصية و الزيجية،

[1] RENE. Maumier. O.V.C- P/22
[2] Revue Algerienne , n°4 du mois de Juillet & aout , 1952. P/117

الفصـــــل الثاني : النمط الحياتي لثرارة

الثراريون متزمتون شجعان عنيدون، متخدون من جبالهم الوعرة حصونا تحميهم من كل عزو فمداشهم يصعب الوصول إليها إلا بشـــق الأنفس لعلوهـــا ووعـورة مسالكها وصعوبـــة منحدراتهـــاالعميقـــة جدا إلى درجة أنك تخـشى أن تنزلق أرجلـــك فتهـــــوى الى الوراء [1] لبلـوغ المنحدرات أحـــيانا 25 %.

فاستقرارهم بالأماكن الصعبة الآمنـــة من المخاطر مند مئات السنين قـــــد ساعد فـــي المحافظـــــة على ثقـــافتهم الأثنـــية ، وهو ما يتجلى في أنه كلمـــا حاول الغـزاة الوصول اليهم و التأثير في نفوسهم لغـرس بدور ثقافتهم ، إلا وتجـــــددت ، وتعمقت في ذاثيتهم ثقاليدهم وعوائدهم البربريـــة وجعلـــت لهم بذلك مناعـــة تقي ثراتهم الحضـــــاري [2] من كل دخـــــيل.

ولعل ما تتسم به تضاريس المنطقـــة من وعورة، وإنغناس الأهالي في الصعـاب قد تولدت عنه نظيمات إجتماعية مركزة على علاقات الدم المؤديـــة عادة الى ممارسة الأعمال الجماعيـــة الجبريـــة [3] خاصة الزراعيـة منها ، التي هي عبارة عن قطع فلاحيـــة صغيرة مشتتة ، بين الجبال والأحـــــراش وهـــــوما زادهم صـبرا و شـدة في حياتهم و غطرسة و شراسة في أوقـــات الشـــــدة و الصعـاب،صعوبة طبيعـة عيشهم في ظـــــروف غير مســتقرة جعل البيـــــوت الثراريـــة أن تكون من الطـــين والقصـب والشـعر المعـــز و البـقر ، أو من الوبـــــر والخـــــش ليسهل عاطفيا مغادرتهـــا دون

---

[3] AUGUSTE. Conte. Cours de philosophie Positive 5°.éd, T1- 1892. P40

[1] ANNUAIRE STATIQUE de la W.. de Tlemcen, Anneé 1990-P/2

[2] . الأمازيغ العرب العاربـة ــ ص 110

[3] ENCYCLOPEADIA, Univ. Volume 3 ,P/171

قيود أو تأنـــــيب للضمير مؤدى ذلك الى تميزهم بنمـط حياتي خاص في ملبســهم ومسكنــهم ، وما يتجلى منها من تقاليد ضاربة الجذور الانثروبولوجية في أعمـاق المجتمع الثراري التي ساهمـت في إعطاء نمط هندسي لعمران مداشير المنطقة الثرارية المنشئة و المبنية في غالبية الأحوال و الأحيان على دور يعتمد على العلاقات الدموية ، فهي أسـر ممتـــدة ، مساكنها متلأصقة مبنية كما أشرنا من الحجـر والقصب وأعضـان الشجر المخلط بالرمـود -[1] ، فيثبت القصـب المحزوم بعضه الى بعض بالسقف ثم تملس الأرض بأملوس [2] المخلوط بمسحوق غـــلال الحلازون ، فيشكل ذلـك بلاطـــــا أرضيا أملسا ومزركشا على حسب مرجعية الانثروبولوجية التي تحيل عليها مختلف الأشـكال الفـنية والـثقافيـة ذات بعـد وأصـل قبـائلي أمازيغـــي [3].

بيوتهم مربعــة الشكل الهندسي ، بها عـدة حجرات أو غـرف مستقلة بعضها عن البعض، منها غرفــة النوم وحجرة الضيوف وأخرى للمئوية ، فالمسخر وهو المطبخ عنهم ، والمرود أو مربـط الحيوانات بجانبه زريبة ، وما يشـد الإنتباه أن الحجـرة عندهم هي على شكل مستطيل بحيث لايتعدى عرضها عن المترين ، أما طـــولها فهو يتعدى في بعض الأحيان الأربعة أمتار ، وتتـقدم الحجـرة عـــــادة حجرة غير مكتملة تسمى السقيف ، ووتتوسط الدار ساحة هي وسط الدار أو المراح ، وهي فسيحة ، أمـا مدخل الدار فعادة ما يكون بابـه تقيلدي مصبوع من أعمـــدة خشب شجيرات الدفـلة ، أما بجانب المسخر فيوجـد مكان مخصص لتسديف الحطب الجاف لإستعماله في فصل الشتـاء -، مجاورا للكانون و الغرغورة ، وبوسط ساحة الـــدار عادة ما توجد شجرة الـتين. وتوجـد مطمورة [4] تحفـظ فيها الحبـوب

---

[1] الرمود ، وهو عجين من التراب والتين المخلط بالماء

[2] أملوس ، وهو مصطلح أمازيغي يعني الطين المشبع بالماء والدي يكون أملسا

[3] صدى الثورة في الاهاجيس النسوية لولاية تلمسان ، المرجع السابق . ص رقم 186

[4] المطمورة وهي عبارة عن جب جاف لتخزين الحبوب ، وهي كلمة مشتقة من العربية وتعني الطمر والتخزين.

،كما جرت العادة أنه بجانب السقف تغرس شجرة العنب بحيث تطلق فروعها مسترسلة فوق طرحة مدخل السقف ،

من هذا يستنبط أن حياة الثراريون وعيشتهم كانت بسيطة بساطة ديارهم ، محصورة في الخضروات الموسمية والبقول الجافة ، فهم بذلك غير مترفين أكلهم متمثل فيما تنتجه سواعدهم من مشتقات البان المعز ـ والتين المجفف و الزيتون المصبر حسب طرقهم البدائية التقليدية ، وخبز الشعير و أحموم [1] ، والتين المجفف، و زيت الزيتون ، ووجبتهم الأساسية هي الكسكس الذي يسمى عندهم التشيش أو الطعام أو المعاش [2]. أما اللحم فلا يعرفونه إلا خلال المناسبات كالإعياد والأفراح أو عند نزول عليهم ضيف ، لأن إكرامه واجب و مقدس [3] ، فالضيف يطعم لحم الأغنام أوالدواجن ، و يقدمون له السمن والعسل والرفيس، و ألد خبز القمح البيّن، الذي لا يتدوقه أهل الدار إلا خلال المناسبات الضيقة ، لذلك فحلول الضيف يفرح أفراد العائلة ويسعدها لقدومه لأنهم سوف يطعمون ألد الأكل بمناسبته ، ولقدسية الضيف حتى الجيران يدعون لمصاحبته لتناول وجبة العشاء، بل في الكثير من الأحيان إذا كان الضيف من ذوي المنزلة العلمية أو الدينية أو من أصحاب الحل والعقد في العرش فالدعوى توجه للرجال البطن جميعهم .

---

[1] أحموم وهو خبز مصنوع من الحبوب المتواجدة بقاع المطمورة ، تكون لها طعم ومذاق مغايرين

[2] المعاش وهو كسكسي مفتول من حبوب الشعير

[3] la Revue Africaine n°7, Les Berbères avant le colonialisme, par GERARD Lottfs, p270

غير أن الميزة الأساسية أن رب العائلـــة دائمـا يغالي في إطعامه [1] - ورغم مرور السنين إلا أن العائلة التّرارية لازالت محتفظة بقيمة وقدوسية الضيافة [2] .

لباســـــــــــهم

أ . عند الرجـــــال

ـــ أما لباس الرجـــل فهو عادي أو مصنوع من جلد الحيوان وخاصة من المعز أو الضأن ، أو من صوف الغنم المغزول سواء في شكل جلاليب صوفية بيضاء ، أو وبرية مغزولة من وبـــر الأبل بنـــية أو ســـوداء اللـون يرتدونها فوق القمصـــان ، وفي حال عـدم وجـــود اللباس مخيطة كان القبائل يلفـــون أنفسهم في حائك ، مع التذكير أن تغطيـــــة الرأس بالعـــمائم سواء البيضـــاء المصنوعة من كتـــان الحايطي ، أو الصفراء من التّرنيتي كانت إلـــــى وقت قريب ملزمـــة لإقترانها بالحشمة والحـياء ، فتّعرية الرأس عند الرجل مستهجـن - أما عنـــــــد المرأة كما سوف نرى فذاك كشف للعورة وعـار وإثم عظيم .

فيلبس الرجل قميـــص باطني يدعى القمـــجة ثم يوضع فوقها صـــدرية تسمى بالمقفـــلة [3]، وهي عادة ماتكون من الكتان مرزاية ذو اللـــون الأصفر أو الأبيض ، و تلبس فوق المقفلـــة فوقيـــة وهي عبارة عن عبـــاءة فضفاضة وتسمى عندهم بالفراجية ، وترتدى فوق الألبســـة ، رؤوسهم يغطونها بالعمائم سواء البيضاء أو الصفراء وكان إلى زمن ليس بعيد،أنه يعتبر من العيب على الرجال من لا يغطي رأسه ، أما الجلبـــــاب أو البـــرنوس فتلبس فوق هده التياب ، أما السراويل هي عبارة عن أكياس تكون واســـــعة مخيطة من الكتـــان أسود اللـون أو الأزرق القاتـــــم.

---

[1] ، المرابـــط ، ص 62

[2] ، المرجع ، المرجع السابق ، ص 53 الى 56

[3] المقفلـة وتسمى كدلك لانها تحتوي على عدد كبير من القفل

فنعالهم فهي من الجلد الأصفر المسمى بالبلغـاء لونـها أصفر اصفرار التدبي [1]أو أحدية من الجلد الأكحل أو الصباط العربي، أما عامة الناس فكانوا يرتدون بومنتل[2].

والشائع ، أن برنوس المنطقة يكون من الملف الأسود أو الأبيض أو من الصوف ويدعى عندئذ بالخيدوس اذا كان من الصوف السوداء ، ويلبس للأسفار والتنزه.

ب . عند النســـــاء

- أما المرأة البربرية القبائلية الثرارية فترتدي قمـجة قصيرة الكمين تدعى الجلطيطة فوق اللحم وفوقها تلبس عباءة أو بلوزة كما هو شائع تسميتها ، وهي عادة ما تكون من كتان النوار أو الحرير أو النيلون ، وتحزّم المرأة على مساوى خصرها بحزام مغزول من الصوف ملونة خيوط تسمى بالتـــكاء ([3])ثم تربط على مستوى محزم خصرها فوطة قبائلية مغزولة من الكتان مخططة الألوان الزاهية الحمراء والسوداء والخضراء ، كما تضع فوطة اخرى تكون بيضاء مائلة للاخضرار على رأسها وكتفيها ساترة بهما أزنادها ، وترتدي عـباءة زاهية الألوان فضفاضة قصير الأكمام وتحتها قميصا أبيض اللون قصير الطول بدون أكمـــام ([4]) كما ترتدي سـروالا , هو عبارة عن كيس فضفاض يكون من كتان النوار , أما في رجليها فترتدي نعال من الجـــلد .

---

[1] الدبـاغ : وهي عملية تحويل جلد المعز او الظأن وصب عليه بعض المواد المستخرجة من الطبيعة لجعلخ يأخد طابع الاسفرار ومن بين هده المواج الشب والرومان.

[2]. بومنتـل : وهو عبارة عن نعل أو حداء يصنع محليا

[3] التكـــا: وهي حزام تقليدي مصنوع من خيوط الصوف المغزولة

[4] MARMOL. L'Afrique de Marmol , de la traduction de Nicolas Perrot Paris 1667, T.II. 323

الأسود وعو عبارة عن بليغات يطلق عليها صباط تلمسان أو البشماق ، مع التذكير أن المرأة القبائلية الثرارية شـعر رأسها طويل أسـود فاحم لايقص أو يحلق وهو دائما مستور ومغطى بمنديل مسترسل فوق الرأس ومحـزوم على مستوى الجبهة بعصـاب ، مع الضروري الذكر أنه لا يكشف شعرها لإعتبار ذلك عيـبا ، ومن ثم فان ثرارية ألفت على تغطيته ولو خروجها عند عـتبة الدار يستوجب أن تغطي رأسها وأزنادها بفوطـــة ([1])تدلى وتبعت على كتفيها ، فهم رغم بداوتهم حريصون حرصا شديدا علىالتمسك بالأخلاق ، لانها عندهم حرمة فكل طرف منها عورة لا يكشف للغريب إلالزوجها أو بين المحارم ، وهنا نجـــــد سلامة حرص تطبيقهم لقاعدة شرعية اسلامية دون إدراكهم الإبيستيمولوجي لها وهوما يدل على عراقة المنطقة وبالشعب الثراري، ومن ثم يستوجب القول أن القبائل الثرارية قد تأثرت بالاخلاق الاسلامية المستمدة من الحضارات السابقة لها.

أما حلـــي المرأة البربرية فيشمل الخلخال و المفتول الذي هو عبارة عن سوار يوضع في اليـد، و من الفضة الخالص ،اضافة الى ضيغة الدهبية من حلقي الأدن والسلطاني .

أثاثهم عادي محصور في الأواني الخشبية والصخون الخزفية التي تقوم النسوة بإعدادها وصنعها ، لحافهم هي غالبا ماتكون عبارة عن الحصيرة المغزولة والمفتولة من الحلفاء والدوم و وبر الجمال وشعر الغنـــــم والصوف وتكون مشبعة بجملة من الألوان البربرية ، أغطيتهم هي بورابح المغزول من الصوف ، والأغطية الخفيفة الأخرى المغزولة من الصوف أو من القطن المسماة بالقطنيات .

---

[1] الفوطـــة :هي عبارة عن حائك قصير مصنوع من الصوف أو القطن ألوان خيوطها باهية بخرية على عكس الفوطة القبائلية المصنوعة من الخيط .

أماعيشتهم بسيطة بساطة وسطهم المعيشي ، الناتج عن صعوبة مزاجهم وصلابة اجسامهم القريبة من التوحش لذلك يكتفون بالضروري من الحياة ، ولمراسهم [1] وفلادة طبائعهم [2] ومقاومة أعرافهم [3] المتمتعة بحصانة لايمكن لأعراف أخرى نخورها أو الولوج إليها [4].

فالقبائل الثرارية بالرغم من إنغلاقها على نفسها لسكناها الجبال الوعرة وتميزها بخصائص وقيم حضارية وثقافية [5] عريقة وأزالية ، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود قيّم إجتماعية دخيلة [6] وهو الذي جعلها تتمتع بزخرفة فنية مرصعة بصفات تجريدية ناتجة عن الإيحاءات والطقوس [7] التي يعيش الأهالي الثراريون أشكالها الثقافية على نمط سلوك إجتماعية يومية أليا دون تخمين فكري،

فهذه القيّم الفكرية المجسدة في شكل طقوس لم تكن وليدة اليوم وإنما هي نتيجة مخاض فكري لماضي قديم وطويل طويل لمعارف وعادات ثقافية ألف الناس ممارستها بشكل آلي وبتلقائية تبعا لميولهم وما أملاه عليهم وسطهم الإجتماعي الذي يعيشون فيه بما في ذلك المناخ الذي له عامل حاسم يشكل مزاج الناس ويحدد قيّمهم الأخلاقية والفكرية ويفرض عليهم نمطا خاصا من السلوكات ، وهو السبب المؤدي إلى الزواج الباكر حفاظا لشرف النساء وتضييقا لحرية حركاتهن بتحصينهن بالزواج ممارستهم لعاداتهم

---

[1] حياة الامير عبدالقادر ، المرجع السابق ، ص 107

[2] منطق بن خلدون - علي الوردي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1962 ، ص 297

[3] ، للمرجع السابق ، ص150

[4] شارل اندري جوليان ص 67 و68

[5] . بن خلدون، المقدمة - الجزء الثاني ، ص2

[6] الفكر الاخلاقي عند بنخلدون، الدكتور شريط عبدالله ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1975 ، ص 65

[7] الطبقات الاجتماعية - محمد تابت الفندي . القاهرة - دار الفكر. 1949 ص 35

بطرق ألية قد جعل الإعتقاد يسود لديهم أن طرقهم هي أحسن وتقاليدهم هي الأفضل وهو ما أضفى عليها طابع القدسية في إتباعها وعدم التفكير حتى في مخالفتها[1] كما يقول علماء الإجتماع الاثنوسونتيزميون [2] . تأتى لهم ذلك بالإعتياد على أتيان السلوك وتكراره إجتماعيا وممارسته ميدانيا وبالتقليد والتواثر والتلقين حتى ترسخ لديهم هو الأمثل كما تؤكد ذلك الدكتورة فوزية ديـــــــاب [3] والسلوك هو الذي تفرضه الجماعة على الأفراد عند التنشئة ، فيكبروا على الإلتزام بقيمة السلوك وترسخ في وجدانهم العادة العرفية.فيشيبون على إتباعها والخضوع لطرق مرسومة للقيام بها نتيجة القوة الإلزامية الكامنة فيها وبذاثيتها [4] ، وعلى هذا النحو تنشأ القاعدة العرفية التي تترعرع مثل أي كائن حـــي ، فتصبح مع مرور الوقت عبارة عن مجموعة من القوانين غير المكتوبة يصهر أفراد المجتمع على تطبيقها بدون البحث عن ماهية وظروف نشأتها لأنه مجتمع نقل وتقليد لامجتمع عقل وتأمل تفكيري. [5]

---

[1] المرجع السابق ، الطبقات الاحتماعية، ص 352.

[2] الاثنوسونتيزم Ethnocentisme هي فلسفة يعتقد افرادها أن مجتمعهم هو الافضل من قيم المحتمعات الاخرى

[3] القيم والعادات الاجتماعية ، مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية ، الدكتورة فوزية دياب ـ دار النهضة العربية للطباعة النشر بيروت ـ سنـــة 1980 . ص 104

[4] علم الاجتماع ومدارسه ، الكتاب الثاني ، المدخل الى علم الاجتماع ، القاهرة. مطبعة لجنة البيان العربي 1962، ص105

المبحث الأول : العرف وعادات الأسلاف

يمكن تعريف العرف بأنه مجموعة من القواعد السلوكية التي تنظم العلاقات الاجتماعية والسلوكية لأفراد ، فهي قواعد ملزمة وأن كان مصدر إلزامها من التعليم والتلقين مستمدقواه الإلزامية من خلال الفلسفة السائدة في المجتمع حسب البيئة، فجزاء مخالفة قاعدة عرفية أو عادات الأسلاف يوقعه الرأي العام ويتمثل في سخط المجتمع على المخالف أو بمعنى أن الجزاء هو معنوي [1] يسمونه التنصيف ، قدتصل درجات عقوبته إلى حد الطرد من العشيرة ، أو يتفق أفراد المجتمع على عدم التعامل مـــع المخالف للقاعدة العرفية وإعتباره في حكم الأموات ومن ثم لتعبيرها عن العقل الجماعي المنشيء للظواهر الإجتماعية [2] ، فـأنه يتجلى أن قوة القاعدة العرفية تعتمد على الضغط النفسي للفرد [3] لأنها تنحدر من ثقافة الأجيال السابقة إلينا، لذلك تمتاز بإصالتها وبإستمرارها ودوامها وقدسيتها و من أبرز صفات القاعدة العرفية إتسامها بالثبات والرسوخ والإستقرار ، ومن ثم فالعرف أو عادات الأسلاف رغم تشبعها بالأخلاق إلا أنها تمتاز قواعدها بالمرونة حسب الظروف ، والجمود في المضمون ، لأنه بمرور الوقت يمكن للشخص التأثير في القاعدة العرفية دونما جلب انتباه عواطف الوسط البيئي للمجتمع وذلك تغيير الشكل الظاهري للقاعدة العرفية [4] ، لذلك فإن القاعدة العرفية في كثير من الأحوال هي أقوى وأعظم وأمثن من القانون كما يقول جان جاك

---

[5] علم الاجتماع القانوني لحسن الساعاتي - دار المعرفة ،القاهرة . سنة 1960 . ص10

[1] القانون التجاري اللبناني ، للدكتور محمد فريد العوفي، ط/1، سنة 1983 ، الدار الجامعية للطباعة والنشر بيروت ص6و 31ا

[2] ، النظرية البحتة للقانون، كيلسن - باريس 1962، ص 61

[3]. قيمنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية، مجمد عماد الدين اسماعيل، القاهرة ، مكتب النهضة المصرية 1962، ص180

[4]. جان جـاك

كما يذهب إليه دوركايم [1] لأنه حسبه وقائع وظاهر جمدت وأستقرت لتتبلور في شكل نمادج انتقلت إلينا عبر الأجيال التي ساهمت في أنشائها وتطورها لتلزم الأفراد على الإدعان [2] لطاعتها وإحترامها وكل مخالف لها يستهجن [3] وينصف كما سبق الإشارة اليه، لأن المخالف كما أنه لو خالف الذاكرة الجماعية للأجداد.

فقوة القاعدة الضاغطة على الفرد هي الأخلاق المتشبعة بالواعز الديني حتى يسهل عليهم تسيير أمورهم الحياتية وفقها والتصرف تبعا لنشئتها مما يتحتم على الفرد أن يبقى أسيرا لها وعدم القدرة نفسيا على مخالفتها حتى ولو أنتقل من بيئة لأخرى لتبقى مغروسة في وجدانه كما يقول عبدالرحمان بن خلدون" أحوال العالم والأمم وعوائدهم ومحلهم لاتدون على وثيرة واحدة ، ومنهاج مستقر، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال الى حال ، وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار فكذلك يقع في الأفاق والأقطار والأزمنة والدول..."وهكذا يجب الذكر أنه لايوجد مجتمع ما على المعمورة يخلو من الأشكال السلوكية والطرق المنظمة لسيرورة حياته ومواقفها ، لأن الأنسان بتكوينه البيولوجي هو القوة المحركة لتاريخ البشرية ، يتفاعل مع الطبيعة ويخلق ثقافات مختلفة [4] متصلة مع أبسط مظاهر السلوك وأداب الوسط الإجتماعي لظهورها وإقتباسها عن طريق التفكير الفطري في القيام بالإنشطة المختلفة سواء في المسكن أو في عادة الملبس أو شكل الحطبة أو الزواج وبصفة عامة في الطقوس المنظمة للعلاقات الروحيـــة بين الرجل والمرأة بشكل عام.

غير أنه يستوجب الذكر أن القاعدة العرفية أو العادة بصفة عامة تنشأ عندما يعتاد الافراد عليها ويسود الإعتقاد لذى العامـــة بصحة إتباعها والإلتزام بالخضوع لها. فهي قاعدة موجودة عير أنه لا يمكن تحديد تاريخ بداية الأفراد العمل بها كسلوك تنظيمي إلزامي لأنه يكفي في تنشائها شعور الأفراد بضرورتها وإحترام منهجه .

---

[1] قواعد المنهج في علم الاجتماع، دوركايم . ص52

[2] نفس المرجع ، ص53

[3] المقدمة ، عبدالرحمان بن خلدون . ص 68

[4] القيم والعادات الاجتماعية ، عن الفيلسوف الروسير فيكتور تشرنوف. ص 64

لذلك كان قديما العرف هو المنظم للعلاقات بين الأفراد في المجتمع الثراري ، أسوة منه بالتجمعات البشرية الأخرى وذلك في جميع دروب مناحي الحياة ، وأن كان السلوك العرفي ، تختلف طقوسه من بقعة بشرية لأخرى ومن عرش لآخر حسب الوسط البيئي وأسباب اختلاف العيش، بإختلاف درجة الزاميته بمدى ارتباط الناس بالدين ، لأنه كلما كانوا متدينون كلما كان للعرف والعادة مكانـــــة أو بعبارة أخرى كان جزاء مخالـفة القاعدة العـــرفية جزاء ديني [1] لإعتقاد الناس أن القاعدة العرفية مستمدة قوتها الروحية من الدين.

وعملا لتمثين القاعدة العرفية الدينية بما يخدم مصالحها سخرت فرنسا منهجيتها للسطو على أملاك العشائر الثرارية وأملاقهم ، فقامت باعادة هيكلة الأعراش ، بتا للنعرات بين صفوف أفرادها لبسط إحتكارها عليهم لاستحوادها على أراضيهم وطردهم منها، وذلك خلال الجمهورية الفرنسية الثانية التي تنكرت لوجود ملكية خاصة للجزائري ، وإن ما هو في حيازتهم من أملاك عقارية مجرد إنتفاع جماعي لهم [2]، لأن الأرض في فلسفتهم هي ملك للدولة لاعتبار أن المسلمين كانوا يعيشون في الشيوع ومن ثم فالملكية الجماعية للآهالي بأرض العرش،

وبموجب هدا المنطق أصبح الأهالي الثراريون يعيشون مخالفون للقانون ، غير أن هذه الأساليب القهرية دفعت بالأهالي الثرارية الى التشبث بقواعدهم الأخلاقية المتشبعة بالعرف والعادة وبالتالي رفضوا الإدعان للإعتقال الاداري و الغرامات الجماعية ورخص السير الجماعية المقيدة لتنقلاتهم عبر العروش

---

[1] . المرجع السابق ص. 12 وبعدها

[2] . المرجع السابق ، ص 42و 49

والمداشر إضعافا لسلطة قيادة العرش وتفكيكا لمقومات اخلاقهم [1] فهذه الوسائل والسبل لم تزدهم إلا عزيمة ، عدم طاعة أوامرها دفع بالسلطة الفرنسية إلى الاستيلاء على مأمورية سلطة تعيين رؤساء فرق العروش وكوراط المداشر المشكلة للعرش ممن يخدم مصالحها [2].

فبارتكازها على الآهالي الموالين لها ممن تتسم مرجعيته الثقافية بخصلتي الحب الفطري للزعامة وبالطبع المعد لها بمعنى التهيئة والملكة الارادية [3] استطاعت أن تتحكم في رئاسة هياكل السلطة الفعلية للعرش فتوقض قبضتها عليه الى حين، مستعملة شتى السبل في الإقتراب من المجتمع وذلك بارتكازها على إحترام القيم والرموز والأخلاق والسجايا والمعتقدات والمفاهيم والتقاليد والأعراش والعادات والإبداعات التعبيرية والفنية من رقص وموسيقى وشعر ، لتستطيع بذلك بسـط نفودها على المجتمع وتسريبها له المفاهيم و العـوائد التي تخدم مصالحها ، بل أكثر من ذلك كانوا يدفعون الناس على الخضوع في تصـرفاتهم للتقالـيد والأعـراف حتى يستطيعوا أن يضيفوا لها ما يخدم أغراضهم ومصالحهم بطرق هادئة وبطيئة تنخر ثقافتهم من الداخل ، فبهذا الأسلوب عمت القاعدة العرفية ، من جهة، وسادت معها بالتوازي التقاليد المزيفة والخرافات دون أن يحس أفراد المجتمع بالقواعد العرفية الدخلية ، لبقاءه متحدا الى حين ارتباط المجتمع بالقيم العرفية خدمة المستعمر،

بسبب نخور القواعد العرفية الدخلية في ثقافته و وحدة أفراده مما أدى إلى تقوقع الأهالي على أنفسهم وتقديسهم لتقاليدهم لعدم إدراكهم أن ألاجنبي قد صب سمومه الثقافية الخدمة لقضاياه وسط ثقافتهم ، إن تقديس العرف عندهم ليس تقديسا بمدلوله الموضوعي للقاعدة العرفية ، وإنما كمدلول رمزي معنوي يعتمد على الشكلية وعلى

---

[1] ، البناء الاجتماعي - مدخل لدراسة المجتمع - الجزء الاول / أحمد أبو زيد- مطبوعات الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ، 1965،/ ص 66

[2] تاريخ الجزائر المعاصرة ، شارل روبير أجيرون /ص 195

[3] GIGBERT Grandguillaume, Nedroma, l'evolution d'une médina , Leiden.E.J. bill- 1976. - P/159

منطق استخدام اللهجة الخارجة ، بمعنى أنه ألف أفراد المجتمع على التكلم عند استخدام العرف أو القاعدة العرفية بالأمثال الدارجة عندهم وفي وسطهم [1] ، ولعل ذلك مستمد من مقولة ارسطو عند استخدامه للمعاني الدارجة بلغة المجتمع عند قوله " كل نبتة ذات أوراق عريضة تفقد أوراقها وكل كرمة هي نبتة ذات أوراق عريضة ، فادن كل كرمة تفقد أوراقها ، ومن ثم فالثراري ارتباطه بثقافته وتشبعه بعاداته وإيمانه بها الايمان الديني جعله يكره كل دخيل عليها لشكه في الاجنبي.

[1] المنطق وتاريخه مند ارسطو إلى راسل ، ربير بي نشيه، باريس 1970. ارمان كولان.ص356

المبحث الثاني : ماهية العرف والعادة

جل المجتمعات تجعل من العرف والعادة مصدرا تشريعيا لها ، ولهذا الغرض فإنهما يحضيان بحماية الأفراد و المجتمع على سواء [1]، وإن كان هذا الإهتمام المرسم للعوائد الزيجية مبني أساسا على الزواج اللحمي في الاطار العشائري [2].

فالعادة حسب العلماء هي ذلك الأمر المتكرر من غير علاقة عقلية ولاتدبير تفكيري سواء كانت ناشئة عن أسباب طبيعية ايكولوجية أو كانت ناشئة عن الأهواء والشهوات، فكل ذلك يعتبر في نظر الفلاسفة والاجتماعيين من قبيل العادات [3] ، يفهم من هذا ، أن العرف نوع من العادة التقليدية فهو من حيث الانشاء قديم وعريق متوارث شمولي وملزم . والعادة جنس أعم يحتوي عدة أنواع ، منها العرف ، ويفهم من هذا التعريف ، أن تحقق العرف يعتمد على نصاب عددي من الناس لابد منه . وهو أن يكون موضوع العرف قد تعرفه أكثر في مكان جريانه، فإذا لم يكن الأمـــر المتعارف شائعا بين أكثر الناس لا يكون معبر عنه عرفا ، بل يكون من قبيل العادة الفرديـــة .

ومن هذا التعريف يستنبط كذلك عدة أنواع من العرف اللفضي و العملي ، وينقسم الى قسمين عرف عام وعرف خاص.

ومن ثم يستفاد أن العادة لاتسمى عرفا إلا في الأمور النابعة عن تفكيروإختيار.

---

[1] l'ALGERIE POLITIQUE, histoire et societé.JEAN-CLAUDE VATIN .fondation nationale des sciences politiques/armand colin .Paris,1974, p/148

[2] الزواج اللحمي من الازوجة الداخليةالتي لا تسمح الا بالزواج الداخلي الدي يتم من نفس الفرقةالاجتماعية ـ السكان التقليديون والتنظيم الاجتماعي في القبائل ، الجزائر ـ كزاس ، 1947، ص

[3] هذا التعريف دكره الاستاد الزرقاء في كتابه المدخل للفقه الاسلامي ص13، أما الغزالي فقددكر تعريفا آخر "هو ما اعتاد جمهور الناس والقوة من قول أو فعل تكرر مرة بعد أخرى حتى امكن أثرمن نفوسهم وصارتتلقاه عقولهم بالقبول، مدخل للدكتور مدكور ص 243 ـــ والمدخل للأستاد مصطفى شابي ص 178.

يتضح مما يبق أن العادة أعم من العرف لأنها تشمل العادة الناشئة عن العوامل الطبيعية والعادات الفردية والعادات الجمهورية التي هي العرف ، فيكون الفارق بين العادة والعرف في نسبة العموم والخصوص المطلق، لأن العادة أهم مطلقا وأبدا، والعرف أخص إذا هو عادة مقيدة ، وبالتالي فكل عرف عادة وليس كل عادة عرفا.

فالعرف أما يتعلق باستعمال بعض الألفاظ في حيز مكاني يتعارف الناس على استعمالها فيه ، وأما أن يتعلق باعتياد أنواع من الأعمال والمعاملات، ومن هنا ينقسم العرف الى نوعين ، لفظي وعملي وأما أن يكون العرف عاما شاملا ، أو يكون عرفا خاصـــا.

أ. العرف اللفظـــي :

هو ما تعارفه الناس من اطلاق لفظ على معنى خاص بحيث لا يتبادر الدهن عند سماعه غيره ، كتعارف الناس اطلاق لفظ المعطى على الفاتحة كما سوف نبين. وكتعارفهم اطلاق لفظ الزهاج على لفظ الصـــداق.

ب.العرف العملـــــي:

هو إعتياد الناس على شئ من الأفعال العادية [1] أو المعاملات المدنية، كتعارفهم في الزواج تعجيل مبلغ معين من مهور النساء وتأخير الباقي إلى ما بعد الدخول، أو تعارفهم على جعل مقدار من مال المهر أثاثا بالرغم من أن تأثيث البيت في الأصل يعهد للزوج.

أما العرف العام والعرف الخاص فهما :

1.العرف العـــام :

هو العرف المتعارف عليه بين جميع الناس في أمر من الأمور المتعلقة بالأفعال العامـــــــــــة. المراد بالأفعال العادية هي أفعال الناس الشخصية في شؤونهم الضرورية مما لا يقوم على تبادل المصالح، وتنشأ منها كاللباس والرقص والغناء وطريقة الإحتفال بالزواج، والمراد بالمعاملات المجنية هي انشاء الحقوق بين الناس

1.الفقه الاسلامي للدكتور سلام مدكور ص 243 وما بعدها

وتصفيتها واسقاطها كالنجاح وكمثال العرف في الأفعال كاعتياد الناس تعطيل بعض أيام الاسبوع واعتيادهم استعمال نوع من الملابس خلال مناسبات معينة.

2. العرف الخاص:

وهو الدي يكون مخصصا بين فئة من الناس دون أخرى ، كالزواج الداخلي.

أن العرف بقسميه اللفظي و الفعلي سواء أكان خاصا أم عاما، هو دليل شرعي يرجع اليه الفلاسفة في تعريفاتهم والشروحهم ،ولكن ليس معنى ذلك أن كل عرف قد جرى التعامل به يصبح يكون دليلا شرعيا، وانما حتى يكون العرف عرفا يجب أن يتوفر على مجموعة من الشروط :

أولا : أن يكون مطردا وغالبا، بمعنىأن يكون عمل المتعاملين به بصفة مستمرة في جميع المواقف والمسائل الحالة، فالعرف مثلا في تقسيم المهر في الزواج الى معجل ومؤجل اذا يكون مطرداوالمراد من غلبة العرف أن يكون مستمرا حاصلا في أكثر من قضية أو مسألة ، فاشتراط الاطراد أو الغلبة في العرف معناها شتراط الاغلبية العملية فيه لاجل اعتباره حاكما في الحوادث والظواهر الاجتماعية .

ثانيا :أن يكون العرف موجودا عند انشاء التصرف أو الواقعة الاجتماعية، فالعرف إنما يوجد فيما يوجد بعده لا فيما مضى قبله، ـو بمعنى آخر أن العرف الحاكم في أمر من الآمور بين'الناس يجب أن يكون موجودا عند وجود هدا ألامر ليصبح حمله عليه، وهدا اختترازا عن العرف الطارئ الدي لا عبرة له بالنسبة للماضي.

ثالثا : يجب الا يخالف العرف شرط أحد المتعاقدين، أي بمعنى أن العرف لا يجوز أن يخالف أرادة واتفاق الاطراف المتعاقدة على أمر من الأمور وكان الشرط صحيحا في العقد، فيوجب الاعتياد العرف ولو خالف التصرف العرف ، لان الشرط أقوى من العرف ومثال دلك أن العرف الساري هو أن الزوجة هي التى تزف الـــــــى أن الزوجة هي التي تزف الى بيت زوجها، لكن اذا حصل وأن كان الزوج مهاجرا في الخارج وليس له في المنطقة من يقوم بحفل ومراسيم زواجه ، فانه يجوز الإتفاق على أن يكون حفل الزفاف بأحد سكنى أهالي الزوجة غير مسكنهم المعتاد.

رابعا : الا يكون العرف مخالفا للشرع والقانون ، أي ألا يكون عرفا معطلا لنص قانوني أو شرعي أو مناقضا له ، فاذا كان العرف مخالفا لنص قانوني أو أصل شرعي وترتب على العمل به تعطيل النص أو مناقضا للأصل لم يكن معتبرا ، لأن نص الشارع مقدم على العرف. أما اذا لم يترتب على العرف هذا التعطيل بل كان من الممكن تنزيل العرف على الشارع إحتراما للمجتمع وثقافته .

خامسا: العلماء على اختلاف منابع علمهم وثقافتهم متفقون على أن العرف اذا خالف الاحكام الثابتة بالنصوص فلا عبرة به، أما إذا كان العرف لايخالف دليلا من الادلة الشرعية والقانونية ولاقاعدة من قواعدهما الأساسية يجب اعتباره . ومن هذا عبارات الفقهاء الكثيرة "المعروف عرفا كالمشروط شرطا" ،" والثابث بالعرف كالثابث بالنص"، واستدلوا على ذلك بقوله عليه السلام" ما أراه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن"، وقوله تعالى"...خد العفو وأمر بالعرف" وبهذا يكون العرف قد تبثت حجيته القانونية والشرعية. وفضلا عن هذا فاننا نجد أن المشرع قد أقر كثيرا من الأعراف [1] التي كانت سائدة في الجزائر والمتلائمة مع روح ثقافته ومن ثم فانه جعله مصدرا تشريعيا [2] لأحكام كثيرة بإختلاف العرف والعادة ، ففرسا قد جعلت خلال تواجدها بالجزائر من العرف مصدرا تشريعيا في مجالات كثيرة كان هو القاعدة القانونية المنضمة ، وبخاصة في شؤون الأحوال الشخصية في القضايا التي لا يحكمها الشرع.

، سادسا : اختلاف الاحكام باختلاف العرف كان من أثر بناءبعض الأحكام الفقهية و القانونية على العرف أن أختلفت والعـــادة تدور معها كيفما دارت و تبطل معها اذا بطلت .لأن الكثـير من الاحكام تختلف اختلاف الزمان لتغير العرف لحصول مشقة او ضرر بالناس ، ولهذا نرى فقهاء المداهي الاجتهادية كثيرا ما اختلفوا نظرا لاختلاف العرف في بلد عن بلد وفي زمان عن زمان ، فان عرف أهل ثرارة يختلف عن عرف أهل تلمسان أو ندرومة ، وعن الجهة الاخرى المقابلة لمنطقة ثرارة ، وكذلك يختلف العرف من جيل الى الأمم.

---

[1] العرف والعادة في الفقه الاسلامي، فهمي أبو سنة ، ص 11

[2] المادة من الدستور الجزائري لسنة

يستخلص مما سبق أن العرف يكون بتكرار الأمر من غير علاقة ادراكية لتنظيم المجتمع وبالتالي هو مصدرا أصليا من مصاهر التشريع و من ثم ينشأ نتيجة تكرار تصرف ما ليصبح ما مرور الوقت قانونا سلوكيا يلتزم به الافراد والمجتمعات في علاقاتهم المتبادلة . ومن أجل تثبيت العرف كقاعدة يجـــدر مراعاة ما يلى :

1: تكرار التزام أفراد باحكام واحدة وفي ظروف متشابهة

2 : اعتراف ضمني لدى الافراد بصحة سلوكيتها واقتناع بالصفة الالزامية للعرف، وهو الا يكون التكرار وحده ، لأن ذلك لايكفي لقيام القاعدة العرفية المنظمة للسلوك أ والتصرف انما اعتراف جيل تبعا لاختلاف احتياجات الناس في شتى مناطق البلاد ومختلف الازمنة.

ومن هنا فالعرف من المصادر الخصبة في التشريع والقضاء وله مكانته المرموقة وجدارته لتنظيم أفراد المجتمع ، لذلك كان مند القدم من أقوى وسائل الأدوات الحاكمة والمسيرة له والمستجيبة لمطالب حياة الافراد بالعرف هو الصفة المكملة لجعل العرف مصدرا قانونيا كما يقول "ولفكي".

هذا عن العرف، أما عن العادة فهي العود أ والمعاودة بمعنى التكرار وقد عرفها الفلاسفة بأنها الأمر التكرر من غير علاقة عقلية ، يفهم من هذا أن العادة لها مفهوم شامل وواسع الحدود ، فهي تطلق تارة على ما يعتاده الفرد من الناس في شؤونه الخاصة كعادته في نومه وملبسه وطقوسه الاحتفالية. وتطلق العادة ايضا بوجـه عام مل حالة متكررة ، سواء أكانت ناشئة عن سبب طبيعي أو غيره. العرف و العادة ادن هي لحصيلة

الظروف الاجتماعية و التاريخية و الاقتصادية التي استنبطها الانسان [1] من محصلتها الثقافية كقاعدة عرفية لايمكن تحديد ميلادها في الوسط العشائري [2] الذي يخضع لها مهما كانت الظروف التي يمكن تحوله حسب تصور "هوبز" لكن ينتقل من فكر الى فكر عبر الأجيال [3] والبطون والعشائر [4] . ورغم أن العادة والعرف هما اللثان كانتا مهيمنين على الفكر الانسان الثراري وما يتفرع عنه من نظم وطقوس وسلوك مغدي لحاجيات البيولوجيو والاجتماعية الافراد القبيلة [5].

---

[1] القانون التجاري اللبناني د. محمد فريد العرفي. ط.1 - ج1 . 1983- الدار الجامعية للطباعة والنشر- بيروت ص 6و31

[2] العشيرة : هي تنظيم احتماعي قديم ورد قانون الالواح الاثنى عشر لسنة 450 ق م ، فالعشيرة هي مجموع عائلات لها وحدة الاسم والديانة يعتبرون انفسهم من أصل واحد ولكن دون اثبات الصلة أو تتبع النسب للوصول الى الأصل المشترك ، فهدا الاحساس بالانتماء القرابي بينهم يمكن اطلاق عليه بالقرابة الطبيعية. فالقبائل العشائرية لايمكن أن تختلط بعضها كثيرا لان كل عشيرة تعتز باصلها وتحاول أن تحافظ على نفسها من الانصهار والدوبان في عشائر أخرى.

[3] costumes Algeriennes – RENE Monnier. P/29 & 38

[4] تاريخ الجزائر المعاصرة - شارل اندري جوليان - المرجع السابق - ص39. تطور النظريات والنظم السياسية للدكتور عمار بوحوش ص 51

[5] البترول والسكان ، ص 203 المرجع السابق

لكل زواج إلا وله عاداته وتقاليده الاجتماعية التي تحكمه وتنظم اجراءات طقوسه حسب البعدين الزماني والمكاني . ومن ثم فالزواج هو في الحقيقة النتيجة التي يصبو اليها المجتمع للمحافظة على كيانه لأستقرار بنائه . بعيدا كل البعد عن المجتمعات المادية الحيونية وما تتصف به من تفسخ، فالعادات الاجتماعية والطقوس الزيجية هي اذن بحق المصابيح المنيرة التي تهدي الفرد الى الهدف المنشود عبر مسار مرسوم ومنهج محقق لوقائع اجتماعية وثقافية معينة ، وهي بالتالي كما يقول " بارون ستاف" [القواعد التي تبين للفرد كيف يعيش مندمجا في وسطه الاجتماعي بكل ابعاده الفكرية الثقافية والحيلولة دون مخالفتها [1] وبتصورات مختلفة لها خصائص موحدة تحتفظ لعدة أجيال بكيانها ونمط علاقاتها الفردية الجماعية فقانون اختيار الزوجة يتنوع بتنوع المجتمعات وما ينظمها من تقاليد وأعراف ، فالاختيار في البعض منها هو من أمور النساء الذي يمنع على الرجال التقرب منه و الغوص في حيتياته ، وهو النمط السائد عادة في المجتمعات المحافظة والمنغلقة ، أما في المحتمعات الأخرى فهو أمر متروك للمعنيين بالأمر ، وفي الأخرى الأب هو الوحيد المؤهل لإختيار زوجة ابنه دون غيره فقد يحصل وأن يقوم بذلك حتى دون علم أفراد أسرته من الحريم ناهيك عن ابنه الذي يكون عادة الأخير من يعلم [2]. فالزواج هو ذلك الرباط المقدس بين شخصين من جنسين مختلفين .ومن ثم فان العادات الاجتماعية المنظمة للعلاقات الزيجية هي ضرورية وأمر واقع لتنظيم وقولبة معاملات الأفراد فيما بينهم كافراد وكمجتمع وضيطها في شكل بناء إجتماعي يتألف من أفكار ثم تجسيدها [3]. و في الزواج تمكن التقاليد والعادات من خلال ثلاث أبعاد زمنية ، فهي قبل الزواج وخلاله وبعده كما سنبين .

---

[1]. بارون استاف

[2] OUJDA et L'AMALAT auteur inconnu, P/144

[3] البترول والسكان والتغيير الاجامعي ـ دراسة انتروبولوجية ، لدكتور محمد عبده محجوب .ص 25

المبحث الأول : الخطبـــــــــــة

الخطبة هي الخطوة الأولى نحو الزواج أو قل هي الوعد بالزواج ، فخلالها يتم أختيار أهل الشاب الفتاة التي سوف تكون زوجة ابنهم ، والتقدم لجطبتها واختيارها أن تكون زوجة له ، والخطبة عند أهل التراريون تتم بدون علم المعنيين بها ، كان يخطب الأب ابنة أخيه من أخيه وبعـــد تفاهمها على جميع المسائل المرتبطة بزواج ولديهما ليقوما اعلان وكشف أمي المخطوبين ، أو أن يقوم الجد باعلان لولديه أن حفيدته فلانة لحفيده فلان داخل الفضاء الأسري ، وعلى الجميع تقبل قرار الجد و الادعان له بتنفيده ، بحيث لا يجـرؤ أحد على مخالفة قاعدة اخيار الجد ، اختياره الدي يعتبر بمثابة قاعدة عرفية يلزم اخلاقيا الافراد بالعمل بها واحترامها. وقد تكون الخطبة خارج الحرم الأسري أو العشائري من قريـــــة أوعشيرة أخرى لايعرف الأب الخاطب لابنه عنها الا والد المخطوبة أو أخوتها من تعامل معهم في تجارة أ والتقى بهم في سفرية ، وينساق الشاب المخطوب له لاختيار والـــــــده ويباركه راضخا لاختيار الوالد. ومرد خضوعه هدا يستنبط من نمط سلوك الأفراد التراريون ومرجعياتهم الثقافية التي تقضي بعدم عصيان الابن لاختيار وتقرير ابيه ، لدلك ينفرد الأب عندهم باختيار مخطوبة ابنه ، وليس معنى دلك عدم أهلية افراد أسرته الآخرين في الاختيار وانما دؤب الوسط القبلي على جعل دلك من اختصاص الاب لتدخلها ضمن مسؤولياته . فاختيار الأب لعروسة ولده مبني على ما رأه ولمسه في في أهلها من أب وأخوة من طبائع حسنة وأخلاق عتاية وخصال حميدة ورجولة وفحولة وخصال يتحلون بها وصفات يتسمون بها ، ومن هدا يتجلى مدى تعلق وارتباط القبائل التراية بالأصول الدينية . فاختيار الأب لحليلة ابنه من خلال رجالها مرجعيته الوحيدة دينية مستنبطة من قوله صلى الله عليه وسلم "أختاروا خوائل أبنائكم في الاســـــواق "، ومعنـى دلك أن أختيار المخطوبة ومعرفة اخلاقها ونبراس سلوكها وما تتحلى به من صفات حميدة نشأت وترعرعت عليها في وســـط أخوتها ، لدلك من خلال سلوك

اخوتها مع الناس تتجلى صورة شقيقتهم وسلوكها ، فهي صورة واضحة وطبق الأصل للمخطوبة ، فادا كانوا دو تربية حسنة واخلاق فاضلة كانت هي كدلك . ومن هنا تتجلى بوضوح أن المجتمع التراري لا يعير أي اهتمام للمخطوبة من حيث الجانب المادي فيها ، فما يهمنها الا الجانب الروحي الأخلاقي السلوكي اما شكلها الجمالي بالرغم من أهميته فهم يؤمنون بنسبيته [1].

كيفية اختيار المخـــطوبة ،

ونعني باختيار المخطوبة عندما تكون خارج عن النسق القرابي لانها ادا كانت داخله فلا اشكال يطرح لان المخطوبة معروفة عندهم وأهلها ومن ثم ما تتحلى به من صفات و أنما المشكل فيطرح عندما تكون خارجه ، لدلك فانها يجب أن تتجمع بالمخطوبة بعض الصفات وتتحلى بها ووالديها، ففضلا عن حسبها ونسبها وبما يتمتع به أصولها من جـــاه ومركز قانوني في المجتمع وما تتحلى به والدتها من اخلاق وطباع، وللتأكد من دلك تقوم عادة أم الشاب الراغب في تزويه رفقة عمته بنزول ضيوف على العائلة المراد خطبتها من التأكد من أن المرغوب في خطبتها تتصف بصة الكرم والاهتمـــام بالضيف وحسن التدبير المنزلي أي ربة بيت تقدر حمل المسؤولية في تسيير الاسرة فضلا على صفة الاخلاق المتمثلة في الحـــياء والطاعة العامة للوالدين والاتزان بالهدوء وعدم رفع رأسها عند الكلام قليلته .

فالخجل صفة تمكن صاحبتها من التأقلم والتطبع بطباع أهل الزوج كم سنبين وليس معنى توفر الصفات المرغوب فيها فان أهل الفتاة يقبلون بالمصاهرة وانما هم الأخرين يحبدون أن يتسم زوج ابنتهم بصفات يتحلى بها .وإن كان في المجتمع القبائلي بعرش سكتانة المشابه في بعده الثقافي لأعراش ثرارة إن إختيار المخطوبة يتم في مسارح الدشرة وخلال مناسبة أعياد اولياء الصالحين ، وبخاصة بعيد سيدي عيسى

[1] Usages de Droit cuotumier , dans la région de Tlemcen. O.V.C ---45

حيث أثناء جمع الفتيان للورد يسمح لهم بتقيمهم للفتيات ولجمالهن، فيتم التعارف وبعدا الخطبة التي يتكفل بها والد الشاب بتقديمه لوالد الفتاة المرغوب فيها خاتما لتضع في أحد أصابع يدها الأيسر إضافة إلى هدايا أخرى منها الحناء و الحلويات والعسل والسكر والزيت من الشجرة المباركة والتي تعني عندهم الصفاء ، فإن قبل الهدايا معناه قبلت الخطبة [1].

أ : أما الصفات المحببة في الخطيب ، فأهل ترارة شجعات متدينون يحبون التملك والتباهي ، فتحلـــي الشاب بالشجاعة في شتى دروب الحياة ميزة مرغبة في الخاطب، ومرد دلك أن القبائل الترارية كانت الى حين تعيش الصراعات اللامنتهية مع القبائل والأعراش المجاورة لها و بينها كدلك وبين القبائل أنقـاد المغربية ، فكان السطو بينها مستمر وشئ عادي ودائم يهدف الى سلب المداشر فتياتها للنقص من قيمتها والطعن في شرفها وعزتها ، لدلك الشاب الخاطب يجب يكون أن شجاع باسل حتى يمكنه الدفاع عن حرمة عائلته وتقوية صفوف اصهاره ، اضافة الى ميزة الشجاعة لابد أن يكون الخطيب متدين، لانه من المتعارف عليه في العراش الترارية أنهم يحبون تزويج بناتهم لحفظة القرآن الكريم للمكانة التي يحتلون عندهم ، فحافظ القرآن الكريم معناه تحليه بالورع والتقوى فداك يصون ابنتهم من كيد الزمان و مخاطر الحياة ومفاجئاتها ، فالخاطب الحافظ للقرآن الكريم حياته منظمة وبسيطة عادة ما تكون مؤمنـــة بتكفـله بأمـامته لهم للصـــلاة وبمشارطة [2] عليهم كما يسمى عندهم، لدلك فيحي حيـــاة كريـمة تعفـى خـــلالها حـــليلته من الأعمال اليـدوية الشـــاقة ومنها توريد الماء و جـــتني المحاصيل الزراعية ، أو لم الحطب ، ومن الصفات الأخرى التي يرغب أن بتحلى بها الخاطب هي الغنى أو الميسرة ، فالغتى فضلا على أنه واقي لكثير من العيوب الخلقية التي قد تكون بالخاطي الا الغتى قد يحجب الكثير منها لدى المخطوبة ووالديها . فميسرته تأمين لحيا' المخطوبة من عواصف الزمان وهزاته،

---

[1] Revue Algerienne, n°4 de l'annee 1952, O.V.C, P/116

[2] المشارطة وهي مشتقة من الشرط ، ومعناها هنا عند أهل ثرارة هي تلك الإلتزام التبادلي الدي يمليه كل طرف على الآخر ، الإمـــام على الجماعة ،والجماعة على الإمام

فضلا على أنه يمكنها من التفرغ لخدمة زوجها وبيتها وفقط ، وبالتالي اعفائها من الأشغال الخارجية من سقي المحاصيل الزراعية وجمع الغلال والثمار وملاحقة زوجها في الحقول والمزارع لتزويده بالزاد ـ ـ.الخ ، وانما غنى الزوج سيعفيه ا كدلك من متاعب الاشغال المنزلية الكثيرة بسبب تكفل الخدم والواصفات المحيطات بها [1].

ويحبد عندهم ان اجتمعت هده الصفات من شجاعة وتدين وصفاء المنبت وسعة الرزق في الخاطب أو البعض منها .

ب : اضافة الى الصفات المدكورة آنفا في المرغوب التزوج بها ، ومنها حسن التدبير المنزلي والتحلي بالمؤولية والقدرة على رعاية الضيوف وعدم التأفف منهم ،إضافة الى الصفات أخرى المحببة لدى التراريين وهي الجمال الدي يقدرونه بقدر تقديرهم للاخلاق الطيبة بكل ابعادها من طاعة وصبر وخدمة أسرة الخاطب دون كلل أو ملل[2] وإن كانت صفة الجمال هي صفة مشتركة يحبدها الرجل كما تتمناها المرأة في من سيقاسمها الحياة ، فصفة الجمال لها أثر عجيب في دوام العشرة وبقاء الألفة [3].

ولأن العـــــائلة التترارية محافظة على شكلها الامتدادي بمعنى أن الزوج حديث العهد بالزواج سوف يبقى في كنف الاسرى الكبيرة ولا ينفصل عنها ، ومن ثم فان صفة الجمال لا بـــد من اقترانها بصغر السن، فصغر سن المخطوبة ميزة محببة ، لان السن يساعد الانسان على التأقلم والاندماج ، فكلما كانت سن المخطوبة صغيرة كلما كانت قابليتها على حفظ عادات أهل الخطيب أسرع ودرجة اهليتها على التكيف بطباعهم أسهل ، ومدى اندماجها في عائلة أهل العريس أقوى وامتن، وبالتالي فان السن يسهل علـــى المخطوبة مواكبة طبائع أهل الخطيب وثقافتهم ، فضلا على أن السن الصغير يساعد الزوج ووالديه على التحكم على الزوجة في تنشئتها بمعرفتهم وحسب طباعهم .

---

[1] Les Romancières coloniales et la femme colonisée - en Algerie .XX siecle - , par MESSAOUD 1989 . P/ 77Sakina .E.N.L

[2] ا لقريـــة المتغيرة ، لمحمد غيث ـــ دار المعارف . القاهرة سنة 1962 ، ص 94

[3].الزواج في ظل الاسلام ، بقلم عسالي الهواري. موضوع منشور في جريدة الرأي العدد 1256 لتاريخ 10. 6 2002 - ص 12

ولا غرو فان حسب و نسب المخطوبة و اتصافها بصفاء المنبت وجدارة العـرق ، أي أن تكون من أصول كريمة وكرم شمائلهم وأخلاقهم وارثة لصفاتهم الحسنة متمسكة من اخلاق فاضلة وشرف وعفة ، وأدب ووقار ،مخلصة لزوجها كاخلاص والدتها وجدتها . و لايعني هنا عدم تفضيل أهل الخاطب أن تكون المخطوبة من عائلة ثرية مالكة لاموال سائلة وعقارات فلاحية وأخرى بالتخصيص، فغنى أهل الفتاة هو سبب كدلك من اسباب تزوجها ، لانه كلما كانت الفتاة من عائلة ميسورة الحال كلما زاد الخطاب عليها [1] وهي مسألة نفسية عند كافة الناس.

ج : التراريون البراربرة محاربون شجعان لايخافون الموت لانهم يؤمنون بالقضاء والقدر ، لدلك تجدهم مهيئون لها ونتيجتها فان عصبيتهم القبلية تدوب في العصبية التزارية ومن ثم تجد الرجل البربري التزاري يعشق المرأة التزارية البيضاء ، الصافية الوجه ، الممشوقة القـــد، الواسعة العينين ، المنحوتة الحاجبين الرقيقة المنخرين ضريفتهما ، رقيقة الشفتين ، ناصعة بياض السنين، طويلة الرقبة ، عامرة الارداف ، واسعة المنكبين ، سالفة الشعر أسوده ، فالجمال عنهم محبب يقيمون له وزنا معتبرا عند اختيار المخطوبة كما قدمنا ، هده جملة من الصفات المحببة في المرأة البريرية وهو التصنيف الدي وصف به "بيرتلون" المرأة البربرية القبائلية [2] .

بعد رؤية الفتاة والتأكد من خصالها والصفات العامة والخاصة المحببة فيها ووالديها ، وانها خالية من العيوب الظاهرة ، فادا تطابقت الأراء يقوم المحيط بايعاز من الوالد بالتأكد من أن الشابة غير مخطوبة وخالية من العيوب الخلقية والخلوقيـــة التي لا تستطيع الكشف عنها الا النساء ، عندئد يقوم أهل الشاب المراد تزويجه بالتنقل الى بيت

---

[1] . علم الاجتماع الريفي - علي فؤاد أحمد ، دار الثقافة والعلوم ، القاهرة 1960. ص 104

[2]. Recherches Anthropologiques dans la Berbère Orientale BERTHLON . et CHANTSE. Lyon imp . 1913. P/ 232

أهل الفتاة ، والشائع عند أهل ترارة هوابتداع أهل الخاطب بعض الأسباب والعلل لزيارة أهل الفتـاة سواءا لرؤيتها على دي غرة وهي منهمكة في الأشغال المنزلية

وهي على حالتها العادية بدون تكلف ، والتأكد بالعين المجردة على توفرها على الصفات المحببة في المطالبةبيدها ، غير انه عادة ما يتم رؤيتها عند مصب العين عندما تقوم بتوريد الماء أو عندما تقوم صحبة رفيقاتها بجمع الحطب ، وبعد التيقن من هده الصفات وأنها ربة بيت صالحة نجتهدة، غير كسولة ، مضيافة، غير شحيحة، بشوشة ، غير عبوسة ، وهي الصفات التي لا يمكن من الوصول اليها الا بمباغتتها ، فانتقال أم الشاب الى أهل الفتاة المراد خطبتها فرصة للتأكدمن أحوال الأم وأحوال بيتها وهندامها ، فهي صفات يمكن جمعها عن الطريق العرضي وتحليلها تبعا للثقافة الاجتماعية السائدة في الوسط التراري، فقيام أم الشاب المقبل على الزواج رفقة ابتها الكبرى المتزوجة وعمتها بالانتقال الى بيت الشاب دون سابق تندار لرؤيـــــتها والتأكد من توفرها على الصفات السابق بيانها، وعادة ما يكون دلك صباحا قبل أن تفهم الفتاة مرادهن زيارتهن فتفر من ملاقاتهن . مع التدكير انهن عادة ما يكون حضورهن للتأكد من صفاء يديها من الحب والجرب ، ووفرة شعرها سالفته ، وسلامتها من القرع ، ومن العرج. هدا في حال ما ادا لم يسبق لوالدي الشابين وقد تفاهما على زواج ابنائهما وهما صغيرين ، لانه عادة عند أهل القبائل مل يمنح الأب أو الجد ابنته دون اعلام الحريم بدلك ، كأن يتفق الأب مع أخيه على أن تكون ابنته لولده لحين بلوغهما سن الزواج ، فيحفظ الكشف عن دلك الى غاية بلوغهما سن الزواج أو عند رجوع الشاب من السفر ، أو لغاية تصريفه القرآن الكريم وحفظه ، أو تنهاءه من شغال معينة ، ومرد عدم اعلان الخطبة بالنسبة للمخطوبين و للغير هو احتراما للعرف الجاري به العمل هو عدم الهاء المخطوبين بفكر الزواج ، واعطا ئهما حرية الحركة والتصرف للفترة الممتدة ما بين الخطبة العائلية والاعلان عنها هدا ادا كانت داخل الفضاء العائلي،

أما ادا كانت الخطبة خارج الاطار العشائري ، وعندما تتأكدن الخاطبات من سلامة الفتاة من العيوب الخلقية والخلقية ومطابقتها مع المواصفات التي يبتغينها والتي صورتها

لهن من رشدتهن اليها أن أمكن دلك [1] . ليقومان بعدها بمصارحة والدة الفتاة عن قصدهن وهدفهن من الزيارة المفاجئة ، ولقد جرت العادة أن عند أهل نزارة أن والدة الفتاة أن أم الفتاة المخطوبة لاترد بالقبول أو النفي على طلبهن لان دلك من أمور الرجال، وانما تحيل دلك الى مرجعية العادة والعرف وهو الأب الدي يقوم بالفصل في مثل هده الأمور ، وموازة مع دلك يقوم والد الفتاة بمصاحبة ضيوفه من كانوا ينتظرونه في المسجد عند الصلاة ويعرضوا عليه ان كانوا يعرفونه مرافقتهالى منزله ، أما ادا لم تكن لهما علاقة سابقة ، فيطب منه عادة ضيف ربي، فيقوم بتلبية الطلب على طيب خاطر ، فيعرضون وهم في المنزل موضوع الخطبة حيث تكون زوجته قد أخبرته بأمر حضور الضيوف وسرهم ، غير أنه من المألوف ، أن يطلب والد الفتاة مهلو للتفكير وأخد رأي والده الشيخ الطاعن في السن ادا لم يكن حاضرا وقت الخطبة ، علىأن يرد على طلبهم في بحر أيام، هدا ادا لم تكن مخطوبة مرتبطة علىدمة الغير ، وبعد المشاورة والفكير يرسل والد الفتاة الى والد الخاطب بالقبول أو الرفض ، مع اعطاء هداالاخير حرية تحديد تاريخ اعلان الخطبة بصفة رسمية والمسماة بالمعطى.

[1] . قد يحتمل انتقال والدة الخاطب الى منزل الفتاة على دي غرة ، ومع دلك لاتعطى لهن الفرصة لرؤية الفتاة ، لانه من العيب على أم الخاطب أن تطلب رؤية ا لفتاة كما هو حاصل في الوقت الحاضر، فرؤيتها كانت عن طريق المباغتة أو بالصدفة ، اما ادا علمت دلك فانك لن تستطيع الى دلك طولا.رواية الحاجة خيرة النويسية وكيفية زواجها دون أن ترى زوجها أو يراها،

المبحث الثاني : المعـــــــــطى

وبعـــد تطايق إرادة العائلتين يثم الاتفاق على زمان المعطى [1] وبحلـول تاريخها ينتقل والد الخاطب في اليوم المعلوم مصحوبا بثلة من رجال الدشرة أو العرش رفقة أخوته وعمومته وخئولته بعد صلاة المغرب الى بيت أهل المخطوبة عندهم ـــ ادا كان الزواج داخليا من نفس الفرقة أو العرش ، أما ادا كان خارجه فالانتقال يكون باكرا تفاديا لمخاطر الطريق ، وعند حضور الخطاب من النساء والرجال يكون ـ أهل المخطوبة من أعمامها وخوائلها حاضرون ، فيلتقي الجمع للتعارف وتبادل الحديث في أمور الحياة ، الى أن غاية حلول ميقات صلاة العشاء ، فتؤدى في مكانها وبعدها مباشرة تقدم لهم وجبة العشاء والتي عادة ما تكون الطعام ويعني عندهم بالكسكسي، وموازاة مع دلك ينزوي أحد الماهرين في جانب من البيت في تحضير ابريق من الشاي بعد أن يقدم قربه صينية فوقها ابريق ومجموعة من الكؤوس وطبق به علبة من الشاي وقالب من السكر وكومة من النعناع الاخضر ، وينغمس بعيدا عن أعين الحضور في التفنن في اعداد الشاي بصب الشاي في الكؤوس من الابريقال الجديد الدي يثم شراؤها لهده المناسبة . وبعملية كميائية يحضر الشاي بتقليبه لعدة مرات ثم ردها اليه الى أن ينصهر ليقدم بعدها للحاضرين ، ليبدأ بعدها الحديث عن موضوع اللقاء في شكله العام على نغم رشفات كؤوس الشاي الى أن يعم برهة السكون فيغتنمها الامام الدي يكون مدعونا" بالصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم مسترسلا في حديثه عن الزواج وماهيته وقدوسيته ، ثم يعرج موجها الخطاب لوالد المخطوبة بقوله " يا فلان إ يا فلان إن فلان يريد ابنتك فلانة لابنه فلان " وبعد سكـــون مريب من والدها دون أن يأبه بكلمة أو يرد عن السؤال حتى يخيل ان والدها رفض تزويجها ، ليعاد السؤال عليه مرة أخرى في شكل مناجاة غير أن والدها يحاول عدم الاهتمام بالسؤال والانتباه إلـــيه ، فيعاد

---

[1] . المعطى : كلمة مشتقة من العطاء ومعناها المنح والتسليم ، ومعناها الاصطلاحي عند التراريين هو يوم القبول والموافقة على اعطاء ابنتهم

النداءعليه للمرة الثالثة ليرد بأنه يفوض أمر تزويجها لوالده أو لعمه الكبير في السن أو لاخيه أو أن يقوم هو بالتكفل بتزويجها بالرد " إعطيناها لك ان أعطاها لك الله والرسول وقبلت بشرطنا" فيرد والد الخاطب او كبير جماعته سواء كان والده أو اخه الكبير ، وما شرطها ! " ان شرطها هو ما سمي لابنة عمها أو أختها أو[1] لقرينتها من الفرقة أو الدشرة ممن عقد قرانهن في نفس السنة الجارية وهو على النحو التالي المفصل أسفله ، فاضافة الى العمامة و النقرة[2] ، كمية من الحبوب ومبلغ الزغاريد"[3]، عندئذ يبتسم الحضور ، فيرد والد الشاب بقوله" قبلت شرطك "عندئذ يتوجه الامام بالخطاب والحديث عن مآثر الزواج وفضل التيسير فيه ليختم حديثه بعقد قران المخطوبين بقراءة سورة الفاتحة والدعوة للمخطوبين بالسعادة والدرية الصالحة المباركة ، والخير الوفير لمجمع الحضور ، عندها تطلق النسوة الزغاريد ،[4] اعلانا بخطبة فلانة لفلان وعقد قرانهما ، لينتهي الجمع بعد أن استغرق حيزا من الليل في الحديث عن أمور الدنيا و تجارب الحياة على رشفات كؤوس الشاي .

المعطى عند القبائل الكبرى هو حفل توجه فيه الدعوى لأقرباء العائلـــتين و الأحباب ويكون عادة يوم الأربعاء ، فيرســـل الخاطب لمحطوبته كيسا به الحناء والكواسير والبعض من ألالبسة ومصوغ من الفضة رفقة إمرأة والمسماة عندهم

---

[1]. الشرط ، عند أهل تزارة هو الصداق ومعناه الشرط المتوقف عن تزويجها

[2] النقرة : وهي المصوغ أو مجموع الاسوة التي تسمى للمخطوبة كما سيتم بيانه ، والعمامة وتشمل ملبسها وتيابها

[3] .الزغاريد : يقول المؤرخ وليام مارسيي " عندما هربت العدراء ديمتراس من روما بعد احتلالها من قبل الغوث ، علق الغديس
جيروث على دخولها الرهبنة المسيحية بقوله " من يتبع عرسك غير أصوات مصرصرة "باللغة البونيقية تودعك بفاحشة... بفاحشة حقيقية ويقصد بكلمة ستريجور اللاتينية الزغرودة التي ترافق الزفاف وهو ما يثبت أن الوغرودة كانت مند القدم مستعملة لدي الساميين ، عن ويليام مارسيي ، المجلة الافريقية ـ المجلد 94 سنة 1950 ص 280

[4] . مبلغ الزغاريد هو ثمن يتفق عليه بين والدي المخطوبين يوم ابرام العقد، وثمن الزغاريد هو ثمن من المال يدفعه أهل الخاطب لاهل المخطوبة عن الزغرودة التي سوف تطلقها احداهن ، لان الزغرودة عندهم غالية الثمن لارتباطها بالشرف. عن الحاجة كريم خيرة وطريقة زواجها

تمزوارت من على مثن بغل ، فتقبض المحطوبة هده الأغراض ، أما والدها فيقبض البغل لاستعماله لنقلها إلى بيت زوجيتها إن تطابقت أرائهما حول الصداق ، وخلال يوم الخميس يتم الإجتماع في بيت والد المخطوبة أين يتم إبرام عقد القران ، فيحضر طبق من الحلفاء به صاعا من الدقيق وقليلا من الملح فيغرس الخاتم من الفضة فالطبق ويغطى الكل بالمنديل بعد وضعه على الأرض وسط الخاطبين ، بعد إقتراح والد الفتاة لمبلغا معين وتادي يرفضه والد الفتاة لتدخل الحضور للتوفيق بينهما ، عندئد يستشهد والدها الحضور على أنه زوج إبنته لأبن فلان بمقدار الصداق المعلوم ، بعدها يقدم والد الشاب نصيبا من الصداق في الطبق المسمى عندهم أسقوي ، لتقرأ الفاتحة بعدها ، ويشتمل الصداق عندهم كدلك على الملابس والفضة والمناديل والتي يتم تدوينها في سجل خاص بالزيجة . [1]

مع التذكير أن الخطبة عند الحضر في تلمسان جرت العادة أنها لا تتسم بكل هده التعقيدات ، فبعد الخطبة مباشرة وموافقة الأطراف يستوجب على والدي الخاطب كعربون الإستجابة أن يرسلا مائدة أو أكثر على حسب وضعهما الإجتماعي ، تسمى عندهم بالطيفور [2] يكون مملؤا بالحـــناء والحلوة والكواسير والزبيب إلخ ... إضافة إلى فوطة أواكثر أو منديل ، وكبش أو نصفه من اللحم ، ولا يمكن من إرسال هده الأغراض إلا بعد التفاهم على صداق وزمن دفعه ، وتاريخ الدخلة وبإختصار على جميع الإجراءات المصاحبة للزواج للتذكير ، التراريون غير مغالون في المهر والصداق ولاتتسم عندهم باشكالية التعقيد لانه في الغالب يكون محددا عرفيا أ و متفق عليه ضمنيا لمساواته . وصداق أوشرط أختها أو نظيرتها وقرينتها ممن عقدن قرانها في نفس السنة .

مع البيان أن المخطوبة ومند تاريخ اعلان المعطى تغيب عن انظار وتحجب عن العالم الخارجي ، بل أنها في اليوم السابق لمعطتها تغادر منزل والديها الى

---

[1] Revue Algerienne , n° 4 , O.V.C .p/119,120

[2] Usages de Droit Coutumier , dans la région de Tlemcen , par Abou-bekr Abdesselam Societé historique Algerienne - , Alger Année 1936, page 45

، الطيفور هو عبارة عن مائدة دائرية الشكل

منزل عمتها أو عمها أو أحد الأخوال للاقامة فيه ولا تعود منه الا بعد انتهاء مراسيم المعطى حيث تـــــقوم المضيفة بتخميض ايدي المخطوبة ورجليها بالحناء والاحتفال بها بتوجيه الدعوة الى البعض من صديقاتها وقرائنها من اهلها لحضورحفل عشاء، ولا تحضر المخطوبة في العرف التراري، بل أن العادة جرت أن المخطوبين لايستأذنون في الزواج ولايثم استشارتهم هو ما كان جاري به العمل حتىعند حضر تلمسان، لدلك فانه يثم تزويجهم بدون حتى بدون علمهم ، وان المخطوبة لا يراها الخاطب ولا أهله الاعن طريق الخلسة وعن الطريق العرضي . وبعد انتهاء من حفل المعطى ترجع المخطوبة الى بيت والديها وهي متأثرة بالتغيرات التي طرأت دون علمها ولا بموافقة منها باكية حزينة على اليوم المحتوم الدي وصلته وهو الزواج لأنها على يقين أنها سوف تترك بيت والديها قريبا وأنه بارتباطها بالزواج فإن حرية تحركها تتقلص وتتكمش بسبب القيود التي تفرض عليها ، ومنها عدم مغادرة بيت والديها الا صحبة أمها أو للضرورة المفروضة وبالسرعة الممكنة ، دلـــــك أن خطواتها تصبح محسوبة والابتعاد عن الدارالى البراري وجني الثمار والغلال ممنوع .

شرط الزواج أو 'الصداق '

الشرط عند الأهالي التراية مقدار من النقود يحدد للمرأة لقاء بضعها يقدمه ولي الزوج لولي المرأة المراد الزواج بها ، أو من هو في مكانه ، وهو مقدار من المال يصرف في اقتناء النقرة وهي عادة أسورة ومفاتيل وقواميس ومسايس و خلخال الكل من الفضلة الخالصة ، اضافة الى حبات السلطاني التي تعلق في عنق المرأة في شكل عقـد وحبات اللويـــز ، ناهيك عن خرص الأدن ، أما زهاجها

فيتكون من بعض قطع القماش من الكتان أو القطن [1] وقد يكون الصداق عجلا كما يجوز ان يكون مؤجلا [2] تحول والدة المخطوبة جزء منه الى ثياب نسوي متفننة في تخييطه بمعرفتها والمحيطين بها ، ففن الخياطة مستحدث عندهم ، لدلك كانت المرأة القبائلية تلبس الحائك كرداء تلف به نفسها [3] وتوضع احدى الفوطتين فالمغزولة من الكتان الداكنة اللون والحاملة للخطوط العرضية المائلة للسمرة من الاحمر القاتم والبني والاسود ، تربطها في خصرها لتستر بها و تدس أردافها ، أو المنسوجة من القطن الباهية الالوان المائلة الى البياض بها خيوط زرقاء باهتة، تغطي بها رأسها و أزنادها ومنكبيها كما تستعملها في المناسبات والأفراح هدا بالاضافة الى أنه يشترط لها كدلك سروال قبائلي وهو سروال فضفاض من الكتان المورد من نوع مرزاية يخيط في شكل كيس ويسمى عندهم كدلك بالحفاظ ، كما يسمى لها مجموعة من العصابات والمناديل لتغطية رأسها، وعدة أزواج من النعال المصنوعة من الجلد الأسود وهي عبارة عن بليغة ، ثم نعال يسمى بشماق من البلاستيك، كما يسمى لها حزازيم البعض منها مغزول من شعر الصوف الملون بألوان مختلفة ، وأخرى من الجلد .مع البيان أنه في الضفة المقابلة الجنوبية لنهر تافنة أنه تكون الموافق على الزوج بمجرد قبول من طرف أولياء الفتاة للحناء المرسولة إليهم في الطيفور ،

- أما الصداق وبالرغم من تحديده إلا أنه قد يكتفى الخاطب على دفع جزء منه لى يدفع الباقي بعد الدخول ،كما أنه جرت العادة على أن يدفع الصداق كله أو بعضه قبل العرس بثلاث أسابيع أو أربعة مع تحديد خلال الإتفاق الثنائي بين الوالدين الساعة و تاريخ الدفوع ويحضر مراسيم هده المناسبة بالإضافة إلى العائلتين والأقارب الإصدقاء،

---

[1] . القاموس: مصطلح بربري ، هو عبارة عن مفتول أو مسائس غير أنه يكون ضخم وبه فجوة في الطرف ، أما السلطاني . وهو حلي من الدهب يرمز للسلاطين و الملوك و هي حبات دائرية الشكل تشبه القرص ،وهي أكبر من حبات اللويز من حيث القطر غير أنها تساويها من حيث الوزنكانت مجموعة من حبات السلطاني تشبك بعضها البعض بواسطة خيط أصفر وتعلق على شكل عقد في عنق النرأة للزينة

[2] انظر شكل عقد الزواج ومضمونه الدي كان سائدا

une Medina , GILBERT . OVC p/ 96 ' evolution d ' [3] Nedroma I

Numéro 390.

Du 28 Septembre I9II.

RAHAL AHMED Interprète Judiciaire

T R A D U C T I O N .

PROMESSE DE MARIAGE.

Deuxième copie d'une promesse de mariage extraite des minutes de la mahakma de NEDROMA le quinze août I964, sur la demande de l'épouse ci-après nommée.Teneur:

A la mahakma judiciaire de NEDROMA,vingt-deuxième circonscription judiciaire du département d'ORAN et pardevant M.RAHAL Mohammed-Kébir ben Abbas,cadi,assisté de ses adels,

Une promesse de mariage a été conclue entre:

Le jeune homme **OTHMAN Abdeslam ould Abdelkader** ben Othman,demeurant dans la fraction des ZEGHADDAS,tribu des BENI-MISHEL,commune mixte de NEDROMA,d'une part,

âgé de vingt ans/.

Et le jeune homme DRAI Hebri ould Mohammed ben Abdallah ben Aïssa,demeurant au même lieu-agissant au nom de sa soeur mademoiselle DRAI Zohrah bent Mohammed ben Abdallah,jeune fille orpheline,sans tuteur,née le onze avril I897,placée sous la garde sondit frère,d'autre part.

CONDITIONS:

Une dot de mille francs a été fixée pour le mariage de cette fille.Cette dot est payable comme suit: cinq cent cinquante francs sans délai et le solde soit quatre cent cin uante francs payable par le mari dans un délai de vingt ans à courir à partir de la date de la réalisation de cette promesse de mariage.Sur le montant de la dot,une somme de trois cents francs a déjà été versée audit frère DRAI Hebri.Le reste sera payé en bijoux.La réalisation du mariage aura lieu quans la promise aura atteint l'âge légal du mariage.

Telles sont les conventions intervenues entre lesdits comparants.Dont acte.

Fait le vingt-huit septembre mil neuf cent onze,correspondant au quatre choual I329 de l'Hégire.

Coût du présent acte:six francs.Suivent les signatures de:KADI Ahmed ben Amar ben Daoud et LAHLOU Mohammed ben Ahmed.Fin de la minute qui porte les signatures

Copie délivrée à la même date que dessus,aux droits de trois dinars 75 centimes perçus contre reçu numéro I456.Pour copie conforme,l'adel expéditionnaire,signé:BOURI Miloud ben Mohammed.Le Cadi,signé:DJEBBAR Mohammed ben Ghaoutsi.

Pour traduction conforme,
L'Interprète judiciaire/.

ولعل سبب عدم مطالبة أهل العروس بكامل الصداق قبل البناء ، ومرجع دلك ألى الهدايا التي يقدمها الخطيب خلال المناسبات الدينية و منها الإحتفالات بعيد الناير والتي تسمى بالتفقيدة والتي تحمل في قطانية تضم حائك ومصوغ وألبسة نسوية وكمية من الكواسير والحلوة و التـــين [1] .

كما أنه لا خلاف في شأن الصداق فقد يدفع نقدا أو بعضه كما يمكن أن يكون كله نقرة أو حلي دهبية ودلك حسب الشروط المتفق عليها بين أولياء المخطوبين ، كما أنه من العادة أن يشتري أولياء الزوج جزء من الصداق بعض من الصيغة .

[1] .O.V.C, Usages de Droit Coutumier, page 46 .47

الفصل الرابع : حفل الزفاف ومراسيمه

بعد إجراء المعطى كما تتطلبه العادة والعرف وتصبح المخطوبة على دمة المخطوب فإن حريتها يثم يقبيدها كما سبق فلا تغادر مسكن والديها الا في حالات استثنائية ورفقة والدتها أو أختها المتزوجة ، فاحتجابها عن الفضاء الخارجي لتنزوي خلاله لتعلم فنون الطبخ والتدبير المنزلي والاستعداد النفسي والمادي للاشراف على تسيير شؤون الأسرة.وتبعا لدلك فانها تغير من طريقة لباس هندامها لتصبح تتصرف تصرف النساء المتزوجات ، حارصة على عدم الالتقاء بوالدي خطيبها ، وان صادفت احداهما فانها تسرع للاختفاء منهما من شدة الحياء والخجل ، غير أن هده القاعدة العرفية غير موجودة عند الحضر من المدروميين و التلمسانيين ، فاحتجاب العروس عن الفضاء الخارجي هو استجابة لما تتضمنته التقاليد منطقة بني مسهل من عدم التقاء المخطوبين مند تاريخ اعلان الخطبة حتى إن كانا من عائلة واحدة .

لدلك سعيا منا لمعرفة خلفيات قاعدة تحاشي المخطوبين الالتقاء أولياء بعضهما البعض والفرار منهما ومن مجلسهما ، الا أننا لم نجد لدلك تفسيرا منطقيا، رغم معرفتنا أن القاعدة العرفية تتطلب انتهاج معرفة السبب ،و هو يتحلي أهالي المنطقة بالتربية الفاضلة و العفة ، والأخلاق السامية والحياء المؤدي بشباب المنطقة الى اتباع سلوك هروبهما من ملاقاة والدي خطيبيهما غير أن السبب الفعال المستنبط من محاكاتنا للواقع التراري يجرنا الى تفسير ظاهرة تحاشي المخطوبين ملاقات حماهما مرده أنهما قد خطبا من قبلهما بدون أن يكونا على بينة ومعرفة منهما ،وإن كانت غالبي الشعوب المتاخمة للعرش التراري تخطب لأبنائها وهم لايتعدون أعمارهم بين الخامسة أو السادسة عشر [2] من سنهم ، لدلك لحيائهما و خوفا الا يظهرا لهما [1]

[1] الحاجة فاطمة سلامة ومذروته لنا بشأن طريقة زواجها ، وعن هروبها من ملاقاة خطيبها وأهله رغم أنهما أبناء عمومة

بالشكل المرضي والمحبب فانهما يفران من ملاقاتهما [1] . لأنه وكما سبق وأن دكرنا فانه في غالب الاحيان تتم خطبة الشابين بدون رؤيتهما البعض أو معرفة درجة جمال بعضهما البعض المسبق لدلك فانه لعامل الحياء فان كلا من المخطوبين يتعففان على طلب رؤية الأخـر كما تقول فوزية دياب " في حفظ كيان البناء الاجتماعي للجماعة ، لدلك فان المحافظة على عرض الابناء وعفتهم من الواجبات المطلقة الملقاة على أوليائهما [2]. ومن ثم فان السلوك العام للجماعة يتطلب تهيئة المخطوبين على عدم تلاقيهما خلال الفترة السابقة للزواج مهما كانت درجة قرابتها، بمعنىأن التعارف قبل الاقتراب من الأمور المستهجنة والتي لايجب رفع السر عنها، فالخاطب لايسعى حتى على معرفة إسم المخطوبة ، وبالثالي ليس له الحق في الاختيار [3] أو ابداء رأيه بشاءنها ، وهي محصلة ناتجة عن التربية والطاعة للوالدين وعدم مناقشتهما فيما اختاراه ، وان كان تفسير هدا السلوك هو حرص الأهالي التراية على الشرف والعرض الدي يتحلون به ولما له عندهما من قيمة غالية ، لدلك ينشئان ابنائهما على التحلي بسلوك عدم الاختلاط وتلاقي المخطوبين ، لمعرفتهم المسبقة أن تغاضي النظر عن مسألة السماح للمخطوبين بالالتقاء من شأنه أن يؤدي الى نتائج وخيمة ،وتكون مطية وسببا أمام الشباب لدخول ميدان العشق والحب وهي سلوكات قد تفقد عليهم السيطرة في جوارحهم ومكبوتاتهم النفسية والعاطفية خاصة وانبيئتهم الطبيعية مهيئة لدلك ، فتكون بالثالي المصائب.

لدلك يسعى الأهالي عدم السماح للمخطوبين حتى من الاقتراب من بيت المخطوبة طيلة مدة الخطبة حتى وكانا من الأقارب ممن أعتادوا قبلها دخول منزلهما دون ترتيبات مسبقة أو تشريفات . ولعـــل السبب الكامن في عدم السماح بلقاء المخطوبين مرده الى

---

[2] .Usages de Droit Coutumier , dans la région de Tlemcen , par ABOU-BEKR ABDESSELAM.Sté Historique Algerienne, alger ,Année 1936, par 46

[1] Coutumes Algeriennes O.V.C—P/99

[2] فوزية دياب ـ المرجع السابق ـ ص 6. تقاليد الزواج بادرار.موضوع منشور في جريدة الخبر لعدد 12 أوت 2000 . صفحة 13

فضائهم الخارجي الشاسع الغتابي الجبلي مملؤ بالادغال والجنائن ، وإلتقاء المخطوبين كما سبق الدكر حتى ولو كان عرضيا قد يوقض أحاسيسهما و مشاعرهما الوجدانية الكامنة ، ولفرط صغر سنهما قد تدهب بهما رعونتهما وعدم تجربتهما في الحياة الى ما لا يحمد عقباه ، لدا فانه حرصا من العائلات البربرية التزارية على الشرف من كل شائبة ، وحصنا للوسط الاجتماعي من عدم تلويث أخلاق أفراده فانه يسعى عدم السماح للمخطوبين باللقاء حتى وان كان أهل تزارة ألـــفوا على تصفيح بناتهم في سنهن المبكرة.

فإن كان عدم السماح للمخطوبي بالالتقاء له ما يبرره ، فان تحتشيهما من لقاء حماهما أو مواجهتهما حتى ولو من الأقارب من العمومة أو الخؤولة فانه تصرف وموقف مبهم وليس له أي تبرير، غير أن كان غالب الإعتقاد أن القاعـــدة العـــرفية المستمدة قوتها من الأخلاق تتطلب تحلى المخطوبين بالحياء والخجل ، ومن ثم فان خرق عرف تحاشي لقاء لوالدي مخطوبيهما ظاهرة مستهجنة ومن يقوم بخرقها يتصف عندهم بالشخص غير المتخلق والقليل التربية ، ولا يحبد مصاهرته [1]

مع البيان أن هدا التصرف يستمر عند المخطوبين على نحو عدم لقاء والدي خطيبهما المدة التي تستغرقها الخطبة أو المعطى الى أن يتم العرس بالدخلة وتزف المخطوبة الى بيتها الزوجـــي، بخلال عند الحضر الدين لا يمانعون في دلك و بل أن الخاطب يحضر إلى بيت والديها خلال المناسبات الدينية ومنها عيد الناير ولا يرون في دلك حرجا.

---

[3] Les romancières coloniales et la femme colonisée . o.v.c - P/ 192

[1] REN NE Maunier Coutumes Algeriennes- Paris- les Editiond Domat- Montchresti.1936 P/91

مفـــــهوم التصفيح

فتصفيح البنات أو ربطهم كما يحلو للبعض تسميتها هو سعيهم لحماية بكارتها من الهتك أو الفتك والفض الى حين زواجها ، أويمعنى آخر فان الأهالي ترارة يلجؤون الى الحفاظ على عدرية بناتهن عن طريق عرف التصفيح ، وان كانت هده العملية مرتبطة بطقوس السحر في ظاهر الاشياء الى انها عملية نفسية نابعة من موروث ثقافي [1] عن طريق التهيئة النفسية مدلوله هو التحصين أو الربط . فتتم هده العملية بعرض الفتاة على امرأة تتمتع بحكمـــة التصفيح ، تكون عادة مسنة، فتقوم المرأة بربط خيوط الغزل على أردافها ايمانا بتصفيحها وشل عضوها التناسلي وإنسداده عند مسه بعضو الدكري للرجل ، مع البيان أن الأقوام الأخرى من الجهة الجنوبية للعرش لا تعرف هده الظاهرة ، ولايتم حل الرباط أو التصفيح عادة إلا بنفس الطريقة ومن نفس الشخص الدي قام بها، لتعود الفتاة بعد حلها الى حالتها الطبيعية.

---

[1] ظاهرة تصفيح الفتيات في المجتمع - جريدة تاخبر - ليوم 7. 9. 2000 . ص 13

المبحث الأول : الحـــــــــناء

يقول تعالى" ومن أياته إن خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها ،وجعل بينكم مـــــــــودة ورحمة ".وأشار بدلك جل شأنه إلى أهمية الصلة الزوجية ، وانها داعية التودد والالفة والوفاق ، والى ان المرأة والرجل لم يخلقا متعة لبعضما البعض وانما جعلا كلهما سكنى للآخر يعينه على مشاق الحياة ومتاعبها وبالتالي يقوم كلهما بما تفرضه الحياة والمعاشرة والشركة الأبدية ، فضلا على تنشئة الخلف ، هده الشركة يجب أن تقوم علىدعامة صحيحة من التوافق الجسدي والعقلي و تطابق القيم الروحية من العادات والتقاليد.

ومن ثم فإن الأسرة هي أول اجتماع تدعو اليه الطبيعة ، لدلك الزواج أساسه تكوين أسرة باجتماع شخصين مختلفين جنسيا لغرض انشاء عائلة بطرق مشروعة يحكمها وتنظمها نواميس العرف والعادة ، وكما سبق القول فان الزفاف عند الأهالي التوارية يتسم عندهم بمراسيم راسخة في وجدانهم ، متميزة ، مستنبطة من القيم الثقافية القديمة ، تتم مراسيم الزفاف عندهم وفقا لاشكال وطقوس معينة و بطريقة آلية بدون أن يجرؤ أحد على مخالفتها ، ومن يقوم بدلك يعرض نفسه لعقاب اللوم والعتاب والتحقير في الشأ ن والمكانة ، أما عند الحضر في تلمسان وإن كانت الحناء ليلتان حناء صغيرة وكبيرة كما هي العادة جارية إلا أنه قد يكتفى بواحدة حسب الإتفاق الحاصل بين والديهما[1]

---

1 .O.V.C , Usages de Droit Coutumier, page 45

الحنـــاء الصغيرة :

فهي فضلا على أنها الليلة السابقة لليلة الحناءالكبيرة ، والتي خلالها تدعو المخطوبة صديقاتها وقريباتها اللائي قمن بمساعدتها في غسل الطمح وغربلته بعد طحنه، وقامت رفقة الأخريات بجمع الحطب للطهي وليمة عرسها ، ومنهن من قامت بتوريد الماء من منبع العين سواء على ظهرها أو باستعمال دابة ، فهؤلاء كلهن ، ولهن تكون ليلة الحياء الصغيرة لقصرها على الصديقات المقربات والقريبات و فقط دون عامة الفتيات و النساء الأخريات .

كما أنها تكون فرصة لصديقاتها وقريباتها للسمر معها وتوديعها على انفراد فتحتفلن على أنغام البندير والزغاريد ثم تقدم والدة العروس بصينيـــة بها عجين من الحناء التي أحضرتها عائلة العريس خصيصا لهده المناسبة [1]، وتكون والدتها قد أعدتها وتفننت في عجنها بماء الورد والزهور والرياحين ،[2] وعلى انغام الزغاريد والبندير والشموع تخضب ايدي وقدمي العروس ، تتفنن احدى النسوة في حسن التخضيب [3] و بعد العروس تتولى صديقاتها وقريباتها في أخد نصيبهن من التخضيب بحناء العروس تباركا بها وفكا وحلا لعنوستهن من كل عين أو ربط. فتكون بالتالي ليلة الحناءالصغيرة هي ليلة الوحيدة للصديقات والقريبات للاحتفال بها وتوديعها وادراكا باهمية الحناء يقوم العريس من جهته و في منزل والديه بدعوة أصديقاءه وأقرباءه الدين قاموا بالتحضير للعرس من خلال جوب مساكن المداشر وفرقها لتوجيه الدعوة للمدعوين لحضور العرس ، و لقد جرت العادة أن توجه الدعوة لكافة الناس دون استثناء لشخص على آخر أو منزل على غيره . فيقام لهؤلاء هدا الحفل ، و هو الحناء الصغرى تكريما لهم عما قدموه لصديقهم من مساعدة ، فيكون الاحتفال متشابه لاحتفال العروس . و

---

[1] الحناء لها معنيان ، معنى لغوي فيقصد بالحناء دي تلك النبتة التي يخضب باوراقها اليدين والجرين فتعطي بعد يبسها عليهما لونا أحمر الى أحمر قني . أما المعنى المجازي فيقصد بالبحناء ادا أقترنب بصفة الى تعيين مناسبة احتفالية

[2] دراسة في الاجتماع العائلي ـ مصطفى الخشلب . مطبعة لجنة البيان العربي . القاهرة . ط/2 ـ سنة 195

[3] RENE Maunier - Coutumes Algeriennes - o.v.c- /75

لاحتفال العروس . و بالمناسبة يكون ساعتها العريس قد أختار من يتوزر عليـــه [4] من اقراته المتزوجين الدين عرضوا عليه خدمتهم.

لقد جرت العادة والتقاليد عند الاهالي التزارية أن يقوم العريس باختيار من يقوم بشـــــــوؤنه ورعاية مصالح عرسه والقيام بإتصالاته الضرورية ، خلال فترة زواجـــه من واليديه أو مع الغير ممن يريد . أو جلب له غرض من الاغراض من منزلهم ، وكدا التكفل به وتقديم له الغداء والماء والمبيت، فيسمى عندهم من يتولى دلك بالوزير.

وبإختيار الوزير ، يقوم هدا الاخير في الليلة السابقة للحناء الصغرى بتكريم العريس بإحتفال يليق بالسلاطين وهو ما يبين عراقة أهالي المنطقة وأنها عرفت في السابق حضارات لملوك وسلاطين كما بينا في الفصل الأول من هدا البحث ، وتقضي العادة أن يدبح له ويقدم له أشهى الأكل وأفضل السرائر والأرائك والأفرشة و توجه الدعوة لحضور وليمة تكريم العريس أو السلطان إلى جمع من أصدقاءه ، فيأكل الجميع ويشرب وينشد ويغني فيرقص الجميع على نقرات رقصات العلاوي والدارة وانهارية وعلى ناييها ، وهم كدلك الى أن تحضر زوجة الوزير بصينية بها عجينة من الحناء تساعها مجموعة من الفتيات تحمل كل واحدة منهن إما منديلا أوشمعا وعلى أنغام الناي ونقرات البندير والقلال و رقصات الفتيان تقم الوزيرة ومساعديها على تخضيب يد السلطان اليمنى ثم يليه الوزير فالشباب المدعو تباعا وسط هلة من الازغاريد ، ولقد جرت العادة على أن يكرم السلطان والوزير ومن يتبوأ مكان السلطان لتخضيب يده على تقديم مبلغ من النقود في الصينية . وفي ساعة متاخرة من اليل يفترق الجميع على يلتقي في اليو م الموال ي فتسمى هده الوليمة عند أهل تزارة بغضوبة العريس، ومن هدا التاريخ يصبح العريس الأمر

---

[1] القيم والعادات الاجتماعية ، لفوزية دياب ، المرجع السابق - ص 289 ، كما أن للعروس وزيرة تكون عادة زوجة الوزير تقوم بالواسطة بينها وبين الوزير لنقل احتياجات العروس.

الناهي ، فتلبى كل طلباته وتنفد ، غير أنه وبالمناسبة تشل حرية تنقله فلا يجوز له التنقل إلى منزل والديه والإلتقاء بهم فداك من العيوب لأنه يكون في حكم الغضبان ، ولا يتحرك إلا بإذن من الوزير وبعلمه المسبق حماية له من أي خطر ، لدلك جرت العادة ألا يترك العريس بمفرده أبدا بل يعتبر دلك من الأخطاء الت قد يسأل عنها الوزير ادا حصل للسلطان أي مكروه كما سوف نبين .

وعلى عكس العروس فالعريس يقضي أبتداء"ا من هدا اليوم لياليه عرسه ببيت الوزير الى غاية ليلة الزفاف حيث يزف الى زوجتـــــه .

الحنـــاء الكـبيرة :

وهي الليلة السابقة لليلة الزفاف تكون خلالها العروس قد هيئت نفسيا و وجدانيا من طرف قريباتها . على ليلة الدخلة ودلك بتشجيعها على إطلاق أحاسيسها وعواطفها [1] واعتبار أن العرس هو إحتفالها ،وانها بعد أنقضاء العرس سوف تتحمل مسؤولية أسرة تكون هي ربتها ، ففي يوم الحناء الكبيرة تنزوي العروس في غرفـة بين صديقاتها تردف دمعا على تركّ منزل والديها وفراق خليلاتها ، وخلال هدا اليوم تحضر نساء وفتيات القرية أو الدشرة ، أو ممن وجهت لهن الدعوة لتوديع العروس وتقديم لها الهدايا . فتغني الفتيات و النساء وترقصن رقصـة الصف على نقرات البندير بحيث تشكلن صفين من القارعات على الدف والبندير فترقص من ترقص منهن رغفا من الليل وهم كدلك في التنكيت والضحك قبل أن تتولى إحدى النساء بتخضيب العروس بيدي ورجلي العروس على أنغام البندير والزغاريد ، ثم تتولى الحاضرات في أخد نصيبهم من التخضيب ، فتخضب كل من ترغب في دلك . [2]

أما الحناء عند العريس فحنتاه تكون بمتابة حفل العرس نفسـه ، غير انه حفل يحضره الجميع ماعدا أقارب العروس ، فيحضرها بالأساس أصديقائه وكل صغـار ممن يطلق عليهم بالحضر و العـزاب [3]. وزمن إنطلاق الحناء الكبيرة هو مساء"ا بعد غروب الشمس ، حيث تبدأ الوفود من المدعـــــــوين في الحضور. فيجلس الشباب في جهة من المنزل يرتقبون قـدوم العريس من بيت الوزير في زفـة وسـط النساء، والفتيات وهن تزغردن والفتيان يرقصون ويغنون على ونفخات الناي ونقرات القـلال والبـندير فيجلـس السـلطان في المـكان الدي

---

[1]. القيم والعادات الاجتماعية . د/ فوزية دياب . المرجع السابق. ص 290

[2]. المرجع السابق، ص 291

[3]. يقصد بالعرب عند التراريين هم العزاب غير المتزوجين، ومرد الأنتروبواجي لقبهم ندلك دلالة على أن العرب لم يكونوا يتزوجوا وإنما كانوا يكتفون بالإيماء والسبايا خلال فتوحاتهم الإسلامية بالمنطقة

خصص له وسط اصدقائه وبعد أن يرقص الجميع ثارة على ايقاع رقصة صف النساء ، وثارة أخرى على ايقاعات رقصات الرجال من وناي وقلال فتنقر الدارة والعلاوي .[1]

أو انهارية والحايطي وهي طبوع لرقصات تقام جماعيا يتفنن في أدائها العارفون بأصولها وبجزئيات تقاطيعها الإيقاعية الفنية في نسق محكم ، فينطلق الرقص عادة بالدارة تحت قيادة واحدهم لتشكيل الايعاز المطلوب وللتنسيق ما بين العزفين والجماعة الراقصة ، ثم يغيرون بمعرفة المكلف بالتنسيق من أوزان التقطيعات والطبوع الفنية وفقا لتسميات شعبية هي اداة لمفتاح التقطييه ، فتؤدى الرقصات في رشاقة واتزان وتنسيق من طرف الجميع وهم يضربون الأرض ضربات متتالية بالرجل اليمنى تليها بالرجل اليسرى في حركات إهتزازية متتالية وهو يرتدون الفراجيات البيضاء والعمائم فلا ترى من البعيد الا كتف واحد في إهتزاز دائم وهي تتمايل يمنة ويسرة و رجلاه تضرب على الأرض ضربات متتالية حسب التقطيعات الفنية المطلوبة حسب العرايشية او السبايسية وهم يحملون الأسلحة الفردية بين أيديهم ، أو العصي و من شدة إنصهار الجماعة في الرقص ونشوتها تتعالى صيحاتهم ، بين الفينة والأخرى. وبعد الرقصة الرجالية ينطلق من جانب آخر من ساحة الدار صوت غناء النسوة وهن يقرعن على البنادير في شكل صفين ، صف للزارعات وهن اللائي يقرضن الشعر الغنائي وممن تتمتعن بملكة فكرية إلهامية في قوله ،و الصف المقابل هن مرددات المقاطع الغنائية المملية من الزارعات [2]، وأخريات يحملن الشموع والمناديل و إيناء الحناء يتوسط الصفين أريكة مزينة توضع للتحنية . وهن كدلك إلى أن يلج العريس رفقة الوزيره للتحنية وسط صيحات المغنيات وزغاريدهن ورشات

---

[1]. الرقصات الرجال هي الحايطي وهو طبع خفيف والدارة والنهارية والعلاوي هي من الفنون الشعبية العريقة فضلا على أنها رياضة روحية للمحارب ، عبدالقادر بن شادلي، موضوع منشور في جريدة الخبر في 6.9. 000 2 ،ص 19

[2]. رقصة الصف ، هي رقصة نسائية في الأساس

العطور ، وهن تتفنن في دكر محاسن العريس والشباب المحيـــــط به فتغنين أحسن ما تحفظن من غناء ، وبعدها تقـــــمن بتخضيب اليد اليمنى للعريس او السلطان يبقى جلسا على أريكته ، أما الوزير السلطان يبقى جلسا على أريكته ، أما الوزيرفيترك مكانه لمن أراد التحنية من الحضور، فيثم دلك على شكل أفواج في جو مهيب قبل أن تدخل مجموعة من الشباب للرقصة على ايقاع رقصة الصـــف مع البيان ـ أنه جرت العادة على أن كل من يحنى يتوجب عليه أن يضع في صينية الحـناء للتحنية .مجموعة من ي الدين يغدقون عليه بالحماية اللازمة . ولعل مغزي من محاولة ضرب العريس بالعصي وإنقاده من قبل العرب أو العزاب ، المدلول الوحيد الدي إستطعنا الوصول إليه هو رفض الحضر الإلتحاق بصفهم شفقة عليه من المسؤوليات المتعددة التي تنتظره ، فالفاصل الوحيد ما بينهم وبين العرب أو العزاب هو هده الليلة أي ليلة الحناء الكبيرة .، علما إن هده الظاهرة الإجتماعية ليست وليدة الأمس القريب بل هي قديمة قدم الفتوحات الإسلامية في المنطقة ، وما عرفه الأهالي من ترسبات ثقافية نتيجة صراعات حضارية . وبفرار العريس في اتجاه الوزير ، يستمر حفل الحناء في الرقص ما بين الصغار ثـــارة على ايقاعات بندير النسوة و رقصة الصف ، وأخرى على ضربات القلال و الناي الى غاية ساعـــة متأخرة من الليل.

المبحث الثاني : الزفـــــــــاف

يتمسك التراريون بالزواج العرفي تمسكا متعصبا لدلك لا يتوانون في الإلتزام بمقتضياته وتبجيله لحد التقديس متعصبون له تعصب ألبير كامي ، ومن هدا التعصب والإنغلاق على تقاليدهم وثقافتهم الإثنيـــة أنهم يمقتون الرافضون للزواج من عزابهم شكلهم في دلك شكل الرومان الدين يحبدونه ويحثون دريتهم على الزواج التقليدي بل ويجبرونهم عليه [1] في الكثير من الأحيان.

كما أنه جرت العادة على أنه بعد الظهر من يوم العرس ينتقل أهل العريس الى بيت العروسة . الدي يكون مند الصباح الباكر يموج بالأقارب والاحباب من الصبيات والنساء والرجال والأطفال الدين يحضرون خصيصا لتوديع العروس وزفها الى بيت زوجها ، فتكون الحركة والهرج والمرج ، والاطفال يلعبون ، والصبيات تغنين على أنغام الدف والبندير و الأخريات ترقصن وكلهن بهجة ومرح وسرور مرتديات أحسن ما عندهن من لباس وأغلى وأبرق ما تملكن من حلي ، أما الشيخات فيكون الفرح لهن فرصة للإلتقاء للرمز ودكر مديح المتصوفة ، وهن كدلك إلى أن يحضر الموكب الرسمي بنقل العروس يتقدمه عادة مجموعة من الرجال الوقار أو كبار البطن يمتطين زائلات متأبطين لسلحة فردية ، ويليهم بعدها جمع من النسوة ملحفات و حاملات لبنادير تكون البعض منهن المجموعة الصونية التي سوف التي سوف تطرب الحضور وتزهي العروس ، كما تصاحبهن شيخات كبيرات في السن يكمن دورهن في مراقبة مدى إحترام العادات والتقاليد ، وبعدهن البعض من الشباب متفرقون على جنبات الوفد يراقبون الطريق من أي مكروه و يتجلى دورهم كدلك في الرقصات الإيقاعية على أنغام الدف والبندير وعلى غناء الصف ، وهو ما يفس أن القبائل هي أقوام متلاحمة إجتماعية وثقافيا وحتى سياسياوهو التلاحم ناجم عن الظروف التي عرفتها المنطقة مند القدم.

---

[1] .co utumes algeriennes --- O.V.C—P/ 26 & 36

والعرس هو يوم مهم بالنسبة للعريس وأهليه لإعتباره اليوم الفاصل ما بين حياة العزوبية وقلة مسؤولياتها ، وحياة الجد ومتاعب الحياة ، وإن كان أهل ترارة ينشؤون أطفالهم على تحمل المسؤولية مند نعومة أضفارهم لاوجود للهو في حياتهم ، وحتى اللعب هو عبارة عن تداريب حربية وتحمل المشاق وراحة نفسية مثل القام او لعبة شاكة ولعبة كرة المقرع وهي ألعاب تتطلب القوة البدنية فضلا عن الدكاء [1] ، لدلك تجد الشاب مهيئا نفسيا على الزواج وتحمل مسؤولياته المادية والمعنوية طالما أنه سوف يعيش مع والديه في عائلته الممدودة ، و من ثم فحياة الرجولة لا يأبه بها التراري ، طالما أنه تربى عليها ، غير أنه ليس كدلك بالنسبة للزوجة لصغر سنها وانتقالها من وسط إجتماعي لآخر، ومن حياة بسيطة الى حياة معقدة من أنوثة واموسة التي قد تكون نشأت على أفكارها حتى لا تشعر فيما بعد على أي لون من الأسى والحسرة [2] لدلك كان يفضل الأهالي تزويج أولادهم في سن مبكرة و من داخل العرش حتى لا يجدو المشاق النفسية للتأقلم عن طبيعة الحياة [3].

ففي هدا اليوم تنتقل العروس الى بيت زوجها و تصبح على دمته ومن عرضه وجزء من مسؤولياته ، بل أكثر من دلك من ممتلكاته ليس إلا [4] ففي الصباح الباكر تقمن مجموعة من المضيفات طرفا من الليل لتحضير الخبز وعجنه وخبزه قبل طرحه في الكانون ، لإتصاف أعمال التراريون جميعهم بالجماعية [5] ، وفي المقابل يتولى الرجال في إعداد مجموعة من الدبائح الشياه وتحضير لحملها للطهي الوليمة لإكرام المدعـــويين لحـفل الزواج بتقديم لهم وجبـــة غدائـــية مكونة عـــادة من صحـن به عسل وإبريـق من القـــهوة والشـــاي ، وبعدها يقدم لهم

---

[1]. لعبة شاكة والقام والمقرع هي لعب تمتاز بالإندفاع البدني وقوة التحمل

[2]. فوزية دياب المرجع السابق ص 258. أوكما يقول روني

[3] pour la femme berbére est c'est Le mariage bnt changement de groupe familial La Loi du 02Mai 1930 qui a fixé l'age minimuim po du mariage a 15 ans pour la fille, P/75 .O.V.C

[4]. Coutumes Algeriennes O.V.C . P/ 59.

[5] La Maouna elle ses rites , c'est une sorte de d'obligation d'ordre commun , cérémonie travail , et de fete . Coutumes Algeriennes O.V.C P/ 66 & 68

ايناء به مـــــرق ولحـــــم ، تقديم الغداء والعشاء للدعوين وإطعام الضيوف يعد من الأمور المقدسة ، وبوصول الوفد على مشارف ديار العروس تطلق عيارات نارية تنبيها بوصولهم فتطلق النسوة زغاريد ايدانا لاستقبالهن ، وبعدها تسترسل في الغناء على ايقاع رقصة الصف فيما بينهن في باحة الدار ولا يجرؤ علىالأجنبي [1] من الرجال التقدم للرقص على ايقاعها.وإدراكا بحسن الضيافة فإن أهل الدار يهيئون غرفة لإستقبال الضيوف ممن حضروا لمصاحبة العروس ، فيقدم لهم الغداء مهما كان التوقيت الزمني ، رغم أن أغلب الزيجات كانت تتم داخل الفضـــاء العشائري.

وفصلا للسؤ التفاهم الدي قد يحصل مستقبلا فيما يتعلق بصداق العروس وجهازه مقيمته فإنه جرت العادة على أن يقدم جهاز العروسين ما بين يدي الحضـــور مرفوقا بقائمة أسمية له على يقوم الإمام أو أحد المشاييخ ما بين الحضور بتلاوتها ومطابقتها مع ما هو بين أيديهم مـــن جهاز المتكون عادة من أفرشة ا لبيت من لحوف ومخائد وبطانيات وأغطية صوفية المسماة ببورابحن وحصيرة وخزانة أو صندوق ، أما لباس العروس فإنه يشـــار إليه فقط دون الولوج في تفصيله ،كما يثم التذكير بقيمة المهر نقدا [2] فضلا على أن أغلب جهـــــاز العروس عند القبـائل التزارية مصنوع ومنسوج من صوف الغنم الدي قامت والدة العروس باعداده حسب ما هو جاري به العرف النوار أو القطيفة لاستعمالها مخائـــد ووســائد أو تسليمها لمن يقوم بنسجها بطانيات وأغطية صوفية [3] التي تقوم أم العروس مند تاريخ إعلان خطبة إبنتها بغسلها في مصب العـــين أو في النهر الجاري وتجفيفها ونشفها بعدها بقردشتها وغزلها لاستعمالها بعده حسب الغرض المطلوب ، سواءا بحشوها داخل أغلفة من قماش .وقد تصبغ الصوف بألوان مختلفة لأعداد البطانيات الصوفية وعند الإنتهاء

---

[1] Leçon d'ouverture d'un cours de sociologie Algerienne de R. Maunier .Hespéris, Archives Berbères, 192 p/100

[2]. بيان الصداق والمؤجل منه للمرحومة الزهرة درعي المرفق

[3]. جريدة الخبر اليومية . عدد 25. 7. 2001 _ ص 3 1

من مطابقة الاغراض حسب القوائم بما في دلك الحلي الدهبية والفضية والمسماة عندهم بالنقرة [1] ليتلى على الحضور المبلغ الدي كلف الجهاز ، يكون عادة يفوق المبلغ الدي سمي للعروس صداق[2] ودلك علىأنغام زغاريد النسوة التي تكون قرب باب غرفة الرجال تلتقط ما يقوله الرجال بشأن قائمة الأغراض ويتوصلون إليه من خلال أحاديثهم ولإطلاع الرجال عاى دلك يعتمدون على التكلم بصوت مرتفع حتى يصل إلى مسامع النساء بوضوح ، وبإقتناع الحضور بقائمة الاغراض المعروضة عليهم لقوم بعدها الإمام بقراءة قائمة الأغراص التي أعدها والد العروس لإبنته وما أسداه لها من حلي وممتلكات قد تكون قطعة أرضية أو دابة أو قطيع من الغنم الخ... وتخصيص الأب لإبنته العروسة جزء من ممتلكاته وهو من التقاليد التراية التي كانت سائدة ، لأنه الشائع عندهم في المنطقة أن النساء عادة لاتطالبن أخواتهن بما يؤول إليهن من حقوق عقارية في ميرات والديهن .وأن أقتصر في الوقت ما قبل الحاضر على البعض من أغراض البيت من ملابس وأوني ونقرة إن وجدت دون غيرهم .

وبإنتهاء من عـــد وأحصاء الصداق على رشفات كؤوس الشاي ، يؤدن للصغار بحمل جهاز العروس خارج الغرفة ليعبأ ويحمل على الزوايل ليتوجه به لدار العريس ، بإنصراف الصغار يقوم الطلبة حفظ القــرآن بعدها بتلاوة ما تيسر منه على مأمورية الإمام ، ليدعىللعروسين في الأخير بالسعادة و الدرية الصالحة و بالمحبة الايخاء وتــطابق القلوب [3] في تلك الأثناء تكون عمة العروس و خالتها قد أختلتا بالعروس لتزيينها أحلى زينة بتكحيل عينيها وحواجبها ، وتنميع وتلميع شفتيها بالسواك ، وتسريح شعرها وتشييك مظهرها لتبريز جمالها وإظهار مفاتنه، وبأنتهاء بمساعدتها على لبـــس ثيـــاب العرس تفتح باب الغرفة لمشاهدتها من طرف المدعوات و هي مبرزة ليمتعن نظراتهن بجـمالها تحت ـأنغـــام الزغاريد وهـــلة من الرقص على

---

[1]. النقرة ، مشتقة من مصدر النقر ومعناه الثقب ، وهو عند القبائل الصيغة لأنها كانت قديما جلها مقعورة وسطها حتى يثم تعليقها في عنق المراة ، أو تتبيثها كمال يحفظ به من الضياع

[2] Coutumes Algeriennes O.V.C -- P/4 8

[3] .O.V.C- P/98

إيقاعات البندير والقلال ،.ولمزات وغمزات النسوة عن حسن جمالها أو قبح منظرها ، وهي ملفوفة في حايك أو ايزار أبيض لا يظهر من أطرافها قدر أنملـــــــــة ، وهي تنـــوح وإخوتها من شـــدة وطأة الفـــــــــراق.

غير أنه جرت العادة قبل دخول أحد الرجال من أفراد عائلتها من المحرمين أو الوزير على حملها ألى خارج الدار لوضعها فوق الزائلـــة ، لأنها لا تخرج إلا محمولة [1] وملفوفة كأي بضاعة [2]. فيتسلل أحد إخوتها أو أبناء عمومتها بغلق الباب على العروس بالمفتاح وعدم تمكين أهل العريس منه ما لم يدفع له قنوط تمسى بالباب أو المفتاح ، مع البيان أن هده الظاهرة لها جدور تاريخية تفسيرها الوحيد حسب تخمينات مشاييخ المنطقة التي توارثوها أب عن جد ، أن عادة كانت تزف العروس في عياب إحوتها الدين يكونوا أما في العمل ولا يخطرون بدلك أو يكونوا في الحرب ، وعند حضور أحدهم قد يرفض الزيـــجة من أساسها لأنه كان قد زوجها ممن خطبها منه و هو في الحرب أو العمل البعيد ، فيقوم بغلق الباب بالمفتاح رافضا زواجها غير أنه وبعد مفاوضات وجاهات يمنح لهم مفتاح الباب ، فكان المفتاح مقابل قنوط، فكانت عادة الباب أو المفتاح . والعروس وهي محمولة [3] إلى خارج الدار تقوم والدتها أو عمتها برشها بالعطور والحلوة وقطع السكر والكواسر فالا عاى أن تحلى إيامها ، إلى أن توضع فوق هودج الزائلة ، والمحيطات بها يغنـين ويزغردن على طلقات البـــارود وكلـــهن فـــرح وإبتـــهاج . على أنه يعتبر من العـــار والعيب أن تصاحبها والدتها وأخوتها الدكور ومرافقتها إلى بيت زوجيتها ، وإنما يكتفى بالنـــدر القليـــل من قريباتها

---

[1] . من الطقوس أن العروس لاتخرج إلا محمولة حتى تتفادى"آثار ما يمكن أن يكون قد وضع لها من سحر عند عتبات الدار من طرف الحساد. ـــــ كما أن حمل العروس وهي ملفوفة كأي بضاعة دليل على الشراء والتملك من العريس لزوجته ، فالزوج عندهم يملك زوجته ، فيقولون نريد رؤية الشرية ، فالزوج يمتلك عن طريق المورث الثقافي زوجته ـ عن التقاليد الجزائرية ، المرجع السابق ، ص 30

[2]. يقول روني مونيي َ تحمل العروس وهي ملفوفة كأي بضاعة ، وهو دليل على الشراء ، لأن، الزوج عندهم يمتلك الزوجة ، فيقواون نريد رؤية الشرية

[3].الشرية ، هو دليل على التملك بقوة العادة والعرف والتقاليد الزوجية . عن كتابه التقاليد الجزائرية ، المرجع السابق ، ص 30.

عمتها أو خالتها الكبيرات في السـن ومن لهـن تـجـربة في الأمور النسـائية أو ممن هن متشبعات بالمورث الثقـافي.

أما عند القبائل الكبرى في عرش سكتانة هناك عادة أن العروس قبل مغادرتها بيت والديها توقف قرب الباب وتنطلق في الغناء أغنية معروفة تقوم بتلقينها لها المرأة المصاحبة لها إن هي نستها وتساعدها على أدائها إن هي لم تستطيع القيام بدلك فهده العادة هي من صميم التقاليد [1] وهي تقول كلماتها " إسمعوا يا أوليائي لقد تهت ولا أعرف أين أدهب ، أأجنبي ينسيني حنان والدي ". بعدها تمتطي البغل الدي أحضره لها زوجها في مناسبة المعطى ، ولا تتوقف عن الغناء ومناجات والديها طول الطريق [2].

وخلال فترة إنتـقال الوفـد الرسمي لاحضار العروس ، فإن الحركة في دار العريس لاتهدأ وتتوقف بحـلول الأفواج المتدفقة من المدعوين ، والدين جرت العادة أن يحضروا في شكل بطون وإنتماءات عرقية محملة بالهدايا يترأسها الرجال يتأبطون للأسلحة الفردية للزينة والتباهي وللرقص ولهول الطريق [3] تيقدمهم الفتيان والفتيات والنساء اللائي تغـطين رؤوسهن بالمناديل حشمة ووقـارا ، يحملن البنادير .

ومن العادات الثابتة عند القبائل الثرارية إحضار الهدايا والتي هي مقدارا من القمح الصلب أو اللـين أي مـدا بمكيال الأهالي الثرارية بالإضافة إلى مجموعة من الخـبزات من القمح [4]. وإن كانت الهدايا عند القبائل الكبرى أو زواوة كما يصح القول أن كل عائلة يمر قرب مسكنها موكب العروس يقدم لها طبق مملؤ إما بالفول أو التين المجفف فتأخد [5].أما عند الحضرمن سكان تلمسان كانت العادة أن كل إصدقاء

---

[1] La Tradition populaire , de Jean Cuisenier, presses universitaires de france,95.P/63

[2] . Revue Algerienne. N° 4.—P/ 120

[3]. سبب إنتقال الأهالي بأسلحتهم الفردية ، لأنها غالية عندهم لا يمكنهم فراقها و الأنتقال دونها خوفا من السراق، وكدا أنها تستعمل لصد أي إعتداء قد يحل من قطاع الطرق ، لأن ظاهرة قطع الطريق كانت منتشرة عندهم لما لصعوبة المسالك ووعرة الغابة ولكتافتها، كما أنها تستعمل للزينة والتباهي.

[4]. تسمى الخبز عندهم بالكسرة أو المطلوع

[5] Rev.Africaine VI 1862—Moeurs et Coutumes Kabylies. Féra ud- P/430

العريس من المدعويين ينحنون العريس في الليلة السابقة للدخلة مبلغا من المال بدلا من صرفها غرامة للمغنيين .

تستقبل العروس والوفد المرافق لها بالحلـــوة وقطع السكر ، غير أنه في قبائل سكتانة فإن الزوج يكون حاضرا أثناء حضور العروس إلى بيت الزوية بحيث أنه يكون فوق سطح الدار ليرمي العروس بالحقوق والتمر والخبز [1] كما أعتادوا انه عندما تمر العروس ممتطية زائلة وسط الهـــلة وسط مسالك ديار الأهالي، فأنه فضـــــلا على زغردة النسوة ومد الوفد المصاحب للعروس بالماء، فأن الفتيان والفتيات المتفرجون يرشون العروس ومن معها بالمـــاء لتلطيف الجـــو الحار عنهم غير أن البعض منهم يملؤن أدلائهم بالماء المخلط بالتراب أو بمالوس أو بشـوك التـــين البربري [2] .

والكواسر فـــــالا [3] على حلاوة إيامها في بيتها الجديد ، المسمى عندهم حقوقا، وبالزغاريد وطلقات البارود ، فتحمل على كتف أحدهم من أقرباء العروس إلى داخل راحة الدار حيث تستقبل من قبل والدة العريس بالحليب والثمر ، لتدخل العروس إلى بيت الزوجية مقدمة رجلها اليمنى لكي تكون موفقة في حياتها الزوجية ، فتجلس في مقصورتها وهو الركن العـــلوي من غرفتـــــها والمسمى عندهم بالسرير ، وهو عبارة على شكل سرير مبني بالحجارة والطين ، وهو الحيز المخصص لها ولقريباتها وللفتيات عامة خلال أيام العرس ، بحيث يتم تقسيم الغرفة إلى قسمين بواسطة إزار أو غطـــاء من الصوف المسمى ببورابح فيشـــــد طرفاه بواسطة ملازم في جنبات حائطي الغرفة ليتم فصل السرير عن الجهة الســـفلى للغرفة التى سوف يتم تخصيصها للعريس ورفاقه من الصغـــــار ، وبمجرد دخول العـروس الى غرفتها محاطة بقريـــــباتها ومرافقاتها ، تموج عليها قريـــبات العريـس والتمتع بجمـــالها ، كل دلك وســـــــط هلة من الرقـــص والزغـــــاريد . وبعد العـــــشاء وأثـــــــناء

---

[1] .REVUE ALGERIENNE. N°4, O.V.C. P/120

[2] .عمار يزلي ، المرجع السابق

[3] . إضافة الى أنه من أسباب رمي الحضوربالحقوق أثناء حمل العروس الى داخل غرفتها هو لإلهائهم عن العروس لادخالها الى غرفتها دون مضايقات أو إحتكاك بشري.

إنغمتاس الحضور في الإستماع للغـــناء والتبراح ثارة ، والرقص ثارة أخرى ، على إيقاعات المقاطع الفـنية المطلوبة ، خاصة إدا كانت الفرقة دائع صيتها أو المغني يستقطب إهتمام الودعوين و المدعوات ، وفي خلسة من الحضور والمدعوين يلج العريس رفقة ثلـــة من أصـدقائه من الصغار والـوزير إلى لرؤيـتها غرفـــــة العروس يقبعان بالجهـة المخصصة لهم بالعازل ، دونما أن يثم الإختلاط بين الفتيات و الفتيان ، مع البيان أنه يوصى العريس بألا يـــرد على من يناديه ويطلبه أثنـاء لحظة دخوله الى غرفة العروس خشية عليه من أن يقام بربطه إن هو لبى الطلب .

فتكثر عندئد الزغاريد والرقـص على إيقاعات ضـــربات ونقرات البـندير و القـــلال قبل أن يقوم العريس بحركة سريعة وخفيفة بنزع المنديل المسترسل من على وجه العروس كاشفا على وجهها إيدانا بدلك على أنه سيكشف على عورتها بعد حين لأنها ستكون زوجته [1] ، ليطلب الوزير بعدها من الكل الإنصراف ، و الخروج من بيت العروسين بما في دلك مرافقاتها . ولا يبقى مع العروسين إلا الوزير وزوجته ليقوما بتهيئتهما وما هي إلا هنيهات بعدها لينصرفا ليتركا العروسين وحدهما.والشائع جدا أن تقوم بتحضيرها عمتها أو خالتها التي يكزن مرافقتا الى دار العرس كممثلة لوالدتها.وإن كانت هناك عادة رومانية لازالت محافظة على وجودها في المغرب العربي وهي أنه عندما ينفردالعريس لأول مرة بعروسه يطب منها أن تمكنه من إسمها ، عندما تتستجيب لسؤاله ، يقدم لها تازوج هدية دهبية والمسماة عندهم ضريبة النطق والكلام او الرد [2].

1.قيام العريس على نزع المنديل العروس وما يغطي رأسها ، هو إعلانه لها بالدخول وكشف عورتها، لأنه كان مجرد رؤية شعر المرأة وكشفه يعتبر عورة وعارا لا يجوز مكاشفته إلا ما ببين الأزواج وهو ما عيشناه في المنطقة

2. Cautumes Algerinnes OVC . P/10

غير أنه جرت العـادة أن يبقى الوزير قرب باب غـرفة العريس للإستجابة طلبات العريس .رفقة عمتها أو خالتها ممن رافقت العروس إنتظارا لقميص عدرية العروس و فحـــولة العريس ، وقد يعتمد الوزير رفقة أصدقائه إلى إحداث الضجيج بالضرب على القلال و النفخ في الناي حتى لايسمع ما يقع داخل الغرفة ، وبخروج العريس تنطلق حناجر النسوة تزغردن ليصحب دلك بالطلقات النارية.والبكارة عند الأهالي الثرارية السبيل الوحيد أمام الفتاة إلا إثبات عفتها الجنسية وحسن أخلاقها وتربيتها، فهي عندهم من الأشياءالمقدسة فعدم إخراجها القميص [1].

حتى ولو كان فقدها بسبب خارج عنها وعن إرادتها فدالك لايكون مبررا شرعيا معفي لمسؤوليتها ولو أخلاقيا فكثيرا ما يحدث وأن يضطرب و يرتبك العروس لدرجة لا يجرؤ معها القيام بفض بكارة عروسه أو قد يمضي وقتا طويلا وهو يحاول دون أن يوفق إلى دلك دون أن يرى المنتظرون خلف الباب خروج القمجـة ، أما لخوفه أو لعدم إدراكه لأمور النساء ، أو لأنه مربوطا.كما وقع دلك لمحمد بن بومدين

فالربـــــاط : الدي هو إشلال للعضو التناسلي سواء بالنسبة للمرأة أو الرجل لعدم المقدرة على إتيان لأحدها الآخر.هي ظاهرة راسخة في وجدان الأهالي البربرية بمختلف مشاربها لإعتقادهم الجازم أن العمل السحري قدسيطر على أحد العروسين بفعل حاسد لإيم ليفسد عليهما وعلى أهليهما فرحتهم بشل قدرة أحدالعريسين على الإتصال بزوجه ، حينها يسعى الوزير الى إحضار إمـــام الدشرة ليفـــك ورفع الأعمال السحرية الى وضعت للعريس أو العروس ،ليتوصل الطالب بعدها لفك المربوط وحلـــــته [2] مقابل أجرة مالية ودلك بقيامه بتحويطات وكتابته أحجبة محتوية على أسماء الله ، وهدا في الواقع خلط ما بين السحر والدين ليسهل التأثير به على الناس، فالدين عندهم من الأمور الجوهرية والأساسية دات القيم العليا التي يجب الايمان والإعتقاد بها خلال أعمالهم كما تدهب إلى دلك الدكتورة فوزية دياب [3].

---

[1].احمد رشدي صالح الأدب الشعبي . مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، سنة 55 ط2 ص 152

[2].السيد بشار وماقصه بشأن المدة التي أستغرقها أحدهم دون أن يتمكن من زوجته بسبب الرباط

1 [3].القيم والعادات الاجتماعية لفوزية دياب ، المرجع السابق . ص 301

و بعد أن يسلم العريس قميص العروس المخضب بالدماء للوزير الدي يقوم عندئذ بإطلاقه أعيرة نارية والتي جرت العادة أن ترفق بالزغاريد إعلانا على حسن شرف العروس ، يسلمه لمرافقات العروس اللائي يقمن بنشره وسط النساء وهن يرقصن ويزغردن على دوي الأعيرة النارية متباهين بقميص العروس ، وقد يرقص به أحيانا حتى وسط الفرجة لقطع دابر ألسنة السؤ ، لتسلم بعدها بكل فخر وإعتزاز لوالدتها حفاظها على سلامة غشاء بكارتها دليلا على عفتها وعلى أنها صانت عرضها ، ويدهب سلطان التقاليد الى حد قتل الفتاة التي فرطت في شرفها ولطخت سمعة عائلتها ، وتطلق والدتها ، لدلك لا عجب أن نجد أهل العروس يحسبون حساب لليلة دخلت إبنتهم . و هو ما كان يجعل أم العروس خاصة تتلهف لمعرفة أخبار قميص إبنتها على نار، ويزيد لهفها إدا وصل إلى علم مسامعها أن العروس لم تتهنى بعد كما هو شائع القول، سواء لفرط عدم قدرة العريس لصغر سنه وعدم إدراكه لأمور النساء ، أو لإكتشاف أمر ربطه أوزوجه لدلك كانت تبقى العروس لأيام أو شهور وهي بكر دون أن يتمكن منها زوجها أو يمسسها ، بسبب الرباط الدي يشل بمقتضاه أحد عضويهما التناسلي.

إن صون الفتاة لبكارتها ليس فعلا شخصيا لداتية الفتاة وحدها ، بمعنى أن الغشاء هو مك لها تتصرف فيه كما تشاء ، وإنما عضوها التناسلي الدي هو رمز لعفتها يتعدى حدوح الشخصانية حسب نظام قيمهم الجماعية ، فهي بدلك ملك لهم جميعهم يلزمون بحمايتها وصون شرفها .

فالفتاة عدهم تدوب شخصيتها في داتية شخصية العشيرة ، فهي بدلك نكرة تعرف بعائلتها وبعشيرتها وأن أي تصرف غير مسؤول منها يلحق العار والوبال بعائلتها الممتدة فضلا عما تصاب به عشيرتها من وخز وإنكسار.

ومن ثم فالبكارة هي من الأشياء المقدسة عند القبائل الثرارية بل أن سلامتها عند البناء هو من المسلمات البديهية مما يصه عن السؤال عند الخطبة ، ولهده القدسية يسعى

أفراد المجتمع الثراري من الضغط على فتياتهن قصد حماية بكارتهن ومن ثم عفتهن من أي خطأ محتمل إلى حين تقديمه قربانا لبعولتهن يوم البناء كعربون عن حسن التربية ، فتكون ليلة الزفاف هي ليلة إمتحان بالنسبة للفتاة ولعائلتها التي تنتظر زمن فض البكارة وسيلان الدم لا يعبر عن الأم وإنما تلك التضحية هي نشوة وسعادة لكل أفراد العائلة .

فتفريط في خاتم ربنا هو ليس تلويثا لشرف العائلة فحسب وإنما هو عارا يشمل جميع فتيات البطن اللائي يلحقهن البوار والعنس لإمتناع البطون والفرى المجاورة للبطن من تزويج أولادهم الدكور من فتيات البطن الدي أرتكبت به المصيبة ، بل أن العار يلاحق أفراد العشيرة لسنوات .

فشرفهن إدا وعائلتهن يكمن ويتجسد في بكارتهن وبالتالي هو ملك للعشيرة كما أنه عند القبائل الكبرى لايدخل الزوج على زوجته إلا في اليوم الثالث من أنتقالها إلى البيت الزوجية ، ففي اليوم الثالث المصادف لليلة الجمعة والزوجة منزوية وسط النسوة وبيدها حفنة من الدقيق أو القمح فيدخل الزوج وسطهن ويروح يفتح ما في يدها وهي الزوجة تقاوم وى تستسلم له بسهولة وبرميه في الأرض لما كان بيدها إثباتا لرجولته وقوته [1] وفي الوقت الدي يكون الزوج أو مولاي السلطان مع زوجته ، يكون في الخارج عامة المدعوين مع الفرجة سامرون ينتظرون الصينية أو الغرامة بحيث يقوم كل واحد من الحضور من الرجال بمنح مبلغ من المال يوضع في صينية لأولياء العريس في شكل غرامة على أن يدون في سجل خاص إسميا ، وعند الإنتهاء يقوم الكاتب أو البراح بقراءة الإسم والمبلغ المتبرع به بصوت مسموع يتبع بالزغاريدل ، لنتلى في الأخير القيمة المالية لمجموعة الصينية ، مع التدكير أن مبلغ التبراح وإن كان هو عبارة عن مساعدة تقدم للعريس واوليائه تخفف عنهم البعض من المصاريف ، إلا أنها مبالغ ترد إلى أصحابها في أول مناسبة لدلك يسمونها غرامـة.

---

[1] Revue Algerienne n°4/ OVC .P122

السـبوع :

كماجرت العادة أنه في الصباح من اليوم الموالي للعرس تقوم شقيقات العريس بتقبيل العروس مقدمين لها بالمناسبة البعض من الهدايا والنقوط المسمى عندهم بالتسلام ، وخلال هدا اليوم تقوم أهلية العرروس بزيارتها وتفقد أحوالها وهي أصبحت إمرأة وكدا تقديم لها التهاني مقرونة بالهدايا والحقوق من حلوة وكواسر ، فيستقبل الوفـد النسوي بالزغاريد والغناء وقرع البندير على حسن تربيّة إبنتهن ، مع البيـان أنه من العار أن ينتقل والدها أو إخوتها لزيارة العروس رفقة الوفد النسوي كما هو جاري به العمل في ثقافات أخرى أين تقدم التهاني لوالد العروس [1] .

وبعد حضور أخوات العروس وتفقدهن لها رفقة أهليتهن ومنحها قدرا من الحقوق لتصرفه على للصغـار بمعرفتها ، ينطلق حفل الصغـار من خارج دار العرس بالرقص على نفخات الناي ونقرات القلال والنبدير بأن يفرش لهم مكان غير بعيد تنطلق منه الألعاب لتستمر مدة أيام السبوع الدي كان سبعة أيام قبل أن يقتصر على ثلاثة ويبدأ اللعب بأخـد الحضر من الصغار حوائج العريس المسمى في ثقافتهم بمولاي السلطان من جوارب وحـداء ومنديل ... إلخ خلسة من العرب من الصغـار وتقديمها للعروس مقابل كواسر وحلـوة، ويستمر اللعب بهده الكيفية طوال اليوم يلاحق فيها العرب للحضر لمنعهم من أيصال حوائج العريس للعروس، مقابل حفنة أو صاع من الحقوق يغنمها الفارس كما قد يصل أمر لعب الصغار إلى سرقـة شباب من الحضر للعريس إن تهاون العرب في حراسته وعدم ألإهتمام بحسن مصاحبته ، لدلك يسهر طوال اليوم الصغار من العرب على عدم ترك العريس بمفرده أو إهمال لحوائجه ، لأنه جرت العادة أنه لا يمكنه دخول بيت العروس لتناول الغداء رفقة الصغار دون إسترجاع لجميع حوائجه التي أخدت منه و المتواجدة في حيازة العروس، لدلك يسعى

---

[1] جرت العادة في مصر أن يقوم والد العروس بزيارة إبنته و نقطها كما تذكر دلك فوزية دياب ، المرجع السابق ص30

الصغار بواسطة الوزير إلى التفاوض مع العروس ووزيرتها بشأنها على أن يتم الإتفاق مقابل مبلغ من المال يدفع لها مقابل الحوائج.

كما أنه قد يقع أثناء لعب الصغار و سمرهم إن يخطئ أحدهم سواء في الكلام أو إثيان لأمر أو لتصرف ما ينبدونه فيتم على الثو إتفاق جماعة الصغار على تغريمه مبلغ من المال وإذا كان معسرا ولم يقدر على دلك فإن العقوبة المالية تستبدل بعقوبه تعليقه في غصن شجرة جزاء على ما قام به فعل خير أخلاقي تدمه الجماعة وإذا حدث و أن سرق العروس ، فإنه جرت أن يكرم هو جماعته من قبل الدي قام بدلك أحسن تكزيم من مأكل ومفرش فراش ولا يمكن إطلاق صراحه [1] إلا بعد أن تدفع جماعة الصغار للمضيف قيمة كل ما نفقه على السلطان من مال بالمناسبة ، بالإضافة إلى معهم القدر من الكافي لإسترجاع أغراض السلطان من عند الملكة أو مولات السلطان بعدها يدخل الجميع إلى بيت العروس غير ان العادة و التقاليد المتحكمة في الصغار تلزمهم على جمع قدرا من المال قبل تناول وجبة الغداء وبعدها يستمر اللعب في بيت العروس ودلك ببيع ما يسمى المال قبل عندهم بالحريف بالتشديد على_الراء وكسرها أي ببيع الحقوق عن طريق المزاد [2] فتباع عندهم قطع السكر والكواسير لكافة الحاضرين في العرس ليتبع كل من يقوم بشراء قطعة من الحقوق بالدعاء له ، وبعد الإنتهاء من البيوع تتقدم البعض من النسوة بقنوط مطالبة بالدعاء لهن .وعند الحضر فإن العادة التي كانت جارية أن الإصدقاء الشرفيين للعريس هم من يقومون بإطعامه خلال أيام السبعة للعرس و إطعام كدلك و الديه و حتى المدعوين

---

[1] الإمكانيات المالية لإصدقاءه ، وهي سرقة معنوية وليس لها مدلول سرقة العريس هي من أجل إكرامه ومعرفة مادي

[2] الحريف له مدلول ديني عندهم مستبط من الطرق الدينية التي كانت تستعمله والمتواجدة بقوة في العرس من درقاوة إلى عيساوة الخ،،، وفي

من أصدقائه [1].

واليوم الأخير من السبوع ولعب الصغار تحضر والدة العروس السديل و قصع [2] من المأكولات تطعم به العروس والصغار ، ومن ناحية أخرى يقوم الصغار بالمبالغ التي جمعوها من البيوع والهيبات و الأدعية والغرمات كما جرت عليه العادة من شراء كبش وشوائه وإطعام العروسين والحضور من أهل الدار .

وما هو تابث في وجدان فكر القبائلي الامازبغي هو قيام أحد الشباب من أقاريب العريس بالتحزام للعروس و دلك بشد حزما على حصرها ليقدم لها بعده هدية أو مبلغ مالي يسمى بالتسلام ليتبعه بعدها الأقارب من الحضور بتقديمهم للهدايا ، غير أن تسليم هده الهدايا لا يحضرها العريس لأنه لحد هده الساعة لايمكنه من مواجهة والديه وأصهاره بل يتحاشى ملاقاتهم . على عكس العادات عند الحضر أين يقوم العروسان معا بإستقبال الهدايا والتهاني[3] دون خجل أو تردد .

لدلك فإنه عند تراريين يسعى في هدا اليوم الوزير للقيام بالصلح ما بين العريس ووالديه دون أصهاره ودلك بأن يقوم العريس ببوس رأس والديه ويطلب منهما أن يغفرا له .

وبعد التحزام و إفتراق المدعوين من عامة الناس تقوم العروس مرفوقة بحماتها و بعد أن تضع لها هده الأخيرة في إنـــــاء أو دلـــو به ماء حبات من البيض والرمان لتقوم العروس ببعدئد برش كل جنبات الدار وعتبات المساكن ، أما الباقي من الماء يقوم أحد الشبان من إخوة العريس بسكبه على رجلي العروس مقابل أخده حبات الرمان والبيض[4] .

---

[1] Usages de Droit Coutumier, O.V.C--p/51

[2] السديل وهي خبز معجونة بالزيت وطليت بالبيض وثم طرحها في الكانون أما القصعة فهي عبارة عن كسكسي تحضره والدة العروس

[3] Usages de Droit Coutumier- O.V.C—p/50

[4] البيض والرمان له مدلوله عند القبائل فهو يقصد به صفاء السريرة والنوايا والخلفة

وفي المساء بعد أفتراق الجميع تقوم إمرأة ممن تتمتعن بالتجربة في الحياة والحكمة بربط العروس عن الإنجاب بحسب رغبتها وبحسب عدد السنين ، فأتمر العروس بجرح ركبتها ثم تقوم بلحس الدم بعدد السنين المرغوب فيها ، ثم تضع يديها تحت ركبتيها وتقول " لا ولادة لا نفاس مع إبن الناس إلا إدا جاءت القابلة من فاس وتحل الربطة من الراس للراس ، ثم تضع بعدها مسحوق أسود أو ما يسمى بسلوان فوق الجرح ليترك علامة سوداء مميزة لا يتلف وقعها بمرور السنين [1] .

حتى إدا رغبت العروس في الإنجاب قبل حلول المدة المربوطة فيها ، قامت بجرح في نفس المكان من ركبتها وتلث بعدها نفس المقولة السابقة . ولعل سبب الرباط التقليدي عن الولادة مرده إلى أن العرسان كانوا يتزوجون صغار السن ولفرط عدم تجربتهم و درايتهم بأمور الحياة فكان الأهالي يلجئون إلى الرباطة وهي وسيلة تقليدية من وسائل منع الحمل تقيهم لبضعة سنين من إلتزامات الخـلفة ، وهم يؤمنون بها أشد الإيمـــان.

كما جـرت العادة أنه يثم أخـد العروس خلال يوم السابع من العرس للحمام تصتحبها إليه كناتـها وأخواتها إن كن غير بعيدات من مقر إقامتها الزوجية يصحبهن فيه رجالهن ، ويشـترط في حمام العروس أنها تدفع ثمن مرافقاتها إلا أن ثمن حمام العروس يختلف من ثرارة عنه عند الحضر فعند هؤلاء يثم تخصيص الحمام للعروس و لمرافقاتها ليوم كامـل أو لنصفه وهدا قبل البناء بالحمام المعتاد الغسل به مند نعومتها لأن العادة التي كانت جاري بها العمل هو أن الفتاة الحضرية ومند صغرها حتى تكبر لا تدفع ثمن الحمام ، إلى أن يقرب تاريخ زفـــها فيستوجب عليها أن تخصص لنفسها ولمرافقاتها الحمام ليوم كامل أو بعضه ، يقوم والديها بدفع كل تكاليفه [2]. أما عند قبـائل ثرارة فالحمام يكون بعد البنـاء

---

[1] قد روت ألي الحاجة فاطمة على طريقة منع الحمل عند الأهالي الثرارية

[2] **Usage de Droit Coutumier, OVC. P/32**

و الدخـول بالزوجة لدلك فالزوج هو من يقوم بتحمل تكاليفه . مع البيان أنه بعد الزواج و االبناء يستمر تصرف الزوج عندهم في عدم ملاقاة اصهاره ، والزوج لا يمكن زيارتهم إلا بعد أن يقوم والديها بدعوتهما رسميا والتي تسمى بالصلح أو ببحب بدعوة أفراد عائلته المقربين من أصهار وأعمام وأخوال بالاضافة الى الجيران والمقربين من اصدقاء العريس.

المبحث الثالث: دراســـة نمـوذجيـــة

نظرا لمعرفتي الدقيقة والعميقة بالمنطقة الثرارية وأهاليها وبطبائعهم ومعارفهم الثقافية وما ألفوه من عوائد وتقاليد مرتبطة بالأفراح الزيجية، أرتأيت القيام بالدراسة والتحليل لظاهرة الزواج كحالة نمودجية عند فرقة زغادة وهي كما سبق التوضيح والبيان من الفرق القبائلية لعرش بني مسهل فعندهم يقـــوم في غالبية الأحوال أب العريس أو جـــده [1].

فالخطبة للأبن أو الحفيد تكون في غالبية الأحوال من داخل الفضاء العشائري الثراري أو باللإستناد إلى ما وصلتهم من أخبار ومعلومات من عائلة المخطوبة

من مزايا ومحاسن دونما أن يكون والدي الخاطب قد سبق له وأن رأى الفتاة المراد خطبتها ، بمعنى دون إطلاع مسبق أو بينة عن حسنها وجمالها و بهائها وسنها وحسبها ونسبها وهدا حسب ما رواة السيدة خـيرة عن كيفية زواجها مع المرحوم عبدالسلام ، "فإن خطبنها كانت دون سابق إطلاع منها ، فعند عودتها من الحقل أين كانت ترعى الغني رفقة أخوها ، اعلمتها اختها بأن ضيوفا قد نزلوا علينا ، وعلى حسب ما استنبطته من ملامح والدي وهما يتحدثان مع بعضهما أن هؤلاء الضيوف أنهم جاؤوا لخطبتك ، وتتذكر أن موضوع خطبتها لم تعلم بتفاصيله إلا لاحقا بعد أن قرر رجال العائلة الأمر بالموافقة على الخاطب" .

فتقرير القبول هو الآخر يخضع لأمرين :

<u>الأمر الأول :</u>

يتم فور الخطبة إعلام أعمام المخطوبة للتباحث في الأمر الخطبة والتذاكر فيما بينهم حول خصال فتاتهم حتى إدا كان هناك راغب في الزواج بها ليدفر بها قبل فوات الأوان ، لدلك جرت العادة انه بمجرد أن يتقدم لخطبة الفتاة القبائلية يطلب والدها

---

[2] Usage de Droit Coutumier, OVC. P/32

[1] غالبية العائلات الثرارية هي من العائلات الأبوية

أو من له الحق عليها مهلة ليتدارك الموضوع مع أعمامها ، حتى ولو كان الخاطب من أبناء خوائها . والحكمة في دلك حسب الحاجة خـيرة " أن الخطبة كشافة " بمعنى أن الفتاة تكون مهملة منسية وبمجرد قدوم من بخطبها من خارج العشيرة حتى يتبين من يرغب فيها من داخل العائلة الممتدة وكله لهف وخوف من عدم الضفر بها.

ونتيجة لهدا التصرف دأب الأهالي على تزويج أبنائهم زواجا داخليا حتى يصون أمواهم العقارية من التفتت على الغير ، ويحفظ نسلهم من الاختلاط ، وعاداتهم وتقاليدهم من التبدد .

الأمر الثاني :

هو أن المخطوبة لا رأي لها عند الأهالي الثرارية فهي لا رأي لها[1] ، لدلك لا تستأذن حتى في أمر زواجها ، لتوكيل أمر موضوع الزواج بصفة عامة للرجال دون النساء ، فهم يرون بانهم أحق به ،

ولا تشد النساء عن الرجال في موضوع تقرير الزواج دلك أن الخاطب هو الآخر عندهم غير حر في الارتباط بمن يرغب أو في اختيار شريكة حياته ، فالكهل عبد السلام حسب رواية الحاجة خيرة لم يعلم هو الآخر بموضوع خطبته إلا لاحقا وبعد أن تجسد قرار اختيار والديه.

و مرد حسب فلسفة الأهالي عدم تأهيل أبنائهم لاختيار شركاء حياتهم لصغر سنهم وعدم إدراكهم لأمور الحياة التي تتطلب التفكير العقلي الاعتماد على الحكمة و التجربة ، داك ما جعل العائلة الثرارية كلها تتكاتف فيما بينها على تربية أبنائها و صون عرضهم و شرفهم ، فشرف الأبناء يحمله أفراد العائلة و العشيرة لد وبان شخصية الأبناء في ذاتية العرش فالفتى عندهم مجرد أداة بدون مواقف من ثم فان المخطوبين مجرد ممثلين لادوار يقومان بها تنفيذا لأوامر والديهما و اد.عانا لهما و لسلطان العادة ، لهدا السبب الفت

[1] غالبية العائلات الثرارية هي من العائلات الأبوية

العشائر التراثية على تزويج ابنائهم و هم صغار حتى يستطيعوا تزويجهم وفقا لرغباتهم و ميولهم .

لذلك فان الشيخ عبد السلام عندما قرر تزيج أبنائه اعتمد في دلك على إرادته المفردة و لم يطلع علما لزوجته الحاجة خيرة و لا المعني بالخطبة من أبنائه ، اللدي لم يتجرأ حتى على السؤال على اسم من اختاروها زوجة له بل لفرط صغر سنه و حياته لم يجرؤ يوما على السؤال عن اسم خطوبته ، و الى أي بطن تنتمي ، و عن فصلها و اصلها و على مقدار صداقها و على مشمولا ته [1]

مع البيان أن والدة الخطب الحاجة خيرة لعاطفة أمومتها رغم حرصها الشديد على التطلع لمعرفة المخطوبة و التأكد من جمالها و حسنها عن طريق من يعرفن عائلتها ، إلا أمانيها لا تتحقق أمام هروب المخطوبة من مواجهة أم الخاطب نتيجة ثقل الموروث الثقافي و صدى مفعوله و عمله في ميول الأفراد و تأثيره على تصرفاتهم و لعل من تناقضات الأمور انه رغم حرص والدة الخاطب كما هو الشان في حالة الحاجة خيرة ، إلا أ ن رد الفعل كان يمكن أن يكون سلبيا لو أن رد فلها كان مناقضا للموروث الثقافي أي لو أن الفتاة لم تتحاش عدم ملاقاة والدة الخاطب و استقبلتها فمثل هدا رد الفعل سيكون سلبيا لا ترضى به والدة الخطب و لن تقبل على من تقوم به أن تكون أهلا لزواج بأنها فالحياء صفة حميدة و مقدسة ، و الفتاة التي لا تقدس التقاليد و ما تتطلبه من حياء فهي فتاة متفسخة تأبى الزواج بها العائلات خوفا عليها من القيل و القال و هو الحل الذي ينطبق على الخاطب و عائلته فالخاطب لابد أن يتمتع بصفات حميدة و من بينها الحياء و الرجولة و تقديسه العادات و التقليد و عرف المنطقة ،فعدم تحاشيه ملاقاة أصهاره ، مدلوله الوحيد عندهم حسب الحاجة خيرة أن الفتى الخطب قليل الحياء و لا يتمتع بالرجولة الكافية ، و من يقم بمثل هدا التصرف يمثل بالعامري أو بالغجري .

---

[1] - ERNY Pierre – Ethnologie de l'éducation , 1981 –Paris – P.U.F . P . / 51
AFIFA ATTAR – MECHERBET , éléments d'anthropologie , l'usage d'étudiants en sciences humains – Editions .U . MONOURI de Constantine p / 66

ذكرت الحاجة خيرة و هي تروي قصة زواجها بشيء من السعادة المقترنة بالحسرة و المرارة فهي رغم سعادتها للتقدم و النمو في جميع المجالات الثقافية و الاجتماعية و منها على الخصوص مشاورة البناء في أمور حياتهم الزوجية و استئذانهم عن يريدون الارتباط ، إلا أنها في حسرة و حزن أن زوجها كانت فيه عبارة عن حلم جميل لأنها كانت لا تزال طفلة لا تعرف شيئا عن الحياة الاجتماعية بتفاصيلها إلا جمع الغلال أو استخلاف أخويها في رعي الأبقار بين الفينة و الأخرى عندما زفت للفقير عبد السلام و هي وقتئذ تبلغ حوالي 11 سنة و تتذكر أنها كانت حماتها وزجها لصغر سنها لم يكن يتكلا عليها إدارة شؤون الدر لجهلها لكيفيات إعداد الطعام و طهيه إلا ما نذر منه فكانت تجبر صحبة حماتها على تعلم إعداد الأطباق المأكولات التقليدية المتنوعة ، و عجن الخبز و طهيه ، وإدارة الشؤون الأسرية .

أما حياتها الزوجية فانه ماعدا ليلة دخلتها التي قضتها في مضجعها فإنها الليالي الأخرى ابتداء من الأسبوع انتقلت لتنام رفقة أخوات زوجها لفرط صغر سنها لعدم إدراكها للأمور الزوجية ، خاصة و انه من شدة صغرها في الجانب العاطفي الوجداني إن زوجها الفقير عبد السلام لمرات عديدة ضربها لانه وجدها تلعب بالدمى رفقة شقيقاته ، فشبت بدلك لترعرعها مع زوجها و في وسطه الاجتماعي على كيفية الحفاظ على ثقافته عاداته ، فكانت حماتها بالنسبة لها كأم ثانية وليس لها من أخواتها إلا أخوات زوجها ، فترعرعت على حب المحيطين بها وعلى الاتصاف بالحياء والخجل بل أن الحياء هو خاصية لتجدرها في نفسية الفرد و الإنسان الثراري ، فتحاشى الفتيان على ملاقاة حماهم أيام الخطبة ناتج عن الحياء و الخجل الممزوج بميزة الثقافة .

الخاتمـــــــــــــــــــــــة

لقد تناول هدا البحث و ما إحتوته فصوله ، موضوع مراسيم الزواج وتقاليده عند التراريين ودلالته الثقافية المستوحاة من السلوكات المادية الجمعية المتكررة والمعبر عنها بالعادات الاجتماعية التي يلتزم الافراد بإتباع نهجها مضمونها وشكلا،

فالعادة كما رأينا هي عبارة عن انصهارمجموعة من الترصبات الثقافية المستمدة جدورها التاريخية من الثقافات القديمة لأقوام وشعوب غابرة عرفتها المنطقة،إرتضاها الأهالي لأنفسهم وشبوا أبنائهم على إتباع طقوسها،

لدلك لمناص من القول إنما عرفته المنطقة من ثقافة هو عبارة عن متحف مطرز بفنون وتشكيلات فنية متشبعة بالثراث الروماني اليوناني والوندالي العربي الاسلامي المرسكي الفرنسي ، يمكن الكشف عن البعض من كنوزه الثقافية من خلال دراسة الزواج و الإطلاع عن طقوسه و مراسيمه ، لأنه من خلال العلاقات الإجتماعية الوجدانية يُمكن من الوصول إلى فهم إرتباط الأهالي التّرارية بثقافتهم رغم الهزات . ومن ثم كان لابد من دراسة سلوكات الزواج وما يحيط به قبل أن يتأثر بالتحولات التي هي آتيـــة لامحـــال من خلال تفتح وسطهم الإجتماعي والتنقلات الكثيرة والمتعددة لشباب المنطقة بسبب الدراعي المختلفة التي سوف تقضي على جميع هده العوائد والأعراف والتقاليد التي كان شيوخ المنطقة إلى حين متمسكين بها حـــد التعصب ولا يدورون عن تغييرها وإستبدالها بثقافات أخرى دخيلة ، لأن البعد الزمني للثقافة كما يقول كنفشيوس ° هي عبارة عن كومة من التراب وجـــدها أحد العلماء في أحـــد الكهوف ، ومن إحـداها جاء الإنسان القديم و أمسك غصن شجرة وغمســه في الدم ثم رســم على الجدران صورا لهده الحيوانات ° ...فجاء الإنسان بعـــدئد في العصر الحديث بأجهزته المتطورة واستخرج من دم رسومات هده الحيوانات شـــهادة ميلاده الثـــقافية بالكيفية التي

وصلت إلينـــا بها لدلك بإستقراء هده المنطقة و ثقافتة أفرادها نجدهم لازالوا متمسكين بأثنيتهم وتتجلى هده الخاصية عندهم بمكوناتهم النفسية المنبعث منها عنصر التعصب لتقاليدهم وعاداتهم التي لايرون على تغييرها و إسبدالها بديلا. لدلك فالعادة في القانون القديم للعرش يقتضي أن الإرتباط مابين التلراريين يكون بين أبناء العرش الاحـــــــــــد بمعنى أن جل الزيجات الحاصلة بين أفراد بطون العرش يكون داخيا و لا يكون دونـــه إلا إستثناءا ، بمعنى أنه مبنى على العلاقات الدموية وهـــو ما جعلهم يحافظون على ثقافاتهم . و خير مثال على دلك أن جل سكان البطون المشكل منها العرش لهم قرابة دميـــة يعيشون داخل مجمعات سكانية ، لدلك هم محافظون بالضرورة على تقاليدهم وعاداتهم وتتبين هده المحافظة جليا أن السمات الأنتربولوجيا لسكان بطـــــون العرش موحـــدة الإثنية الثقافيـــة.

ومن ثم فإنه كان علي من الضروري أن أحاكي أهالي سكان العرش الطالعين بخصائص تقاليد سكانه وأقاسمهم البعض من التقاليد و العادات بالممارسة تارة والحكي تارة أخرى غاصين فيما وصل إليهم مـــن تجارب أصولهم ممن استوطنوا المنطقة ، فكنت متفهما لعاداتهم ووطقوسهم بفضل معرفتي لسكانها وللبعض من تقاليدهم ، وما يمتازون به من خاصيات . لدلك كان سهلا علي من الولوج بواسطة أولائك الشيوخ إلى أعماق و نفسية و تفكير القبائلي الأمازيغي قبل أن تعصف عليها رياح التحولات وهي النتيجة المتوصـــل إليها من خلال هده الدراســـة.

ومن ثمة يستوجب الذكر أن المنطقة التزارية تتطلب عـــدة دراسات متنوعـــة في شتى الميادين التخصصات الفكرية والتوثيقية لتعتني أوليا بجانبها التاريخي من إيام القبائل البربر الأمازيغ و الرمان إلى إندثار مدنهم ، وتشييدهم فيما بعد لمدينة فلاوســن على أعالي موقع مدينة ندرومـــة حاليا . إلى العصر الاسلامي وإنتقال سكان الصحراء و معسكر من الأصول العربية للمنطقة والإستيطان بها . دون إهمال الجانب الفني لسكان المنطقة من ايقاعات موسيقية وطبوع فنيـــة مجســـدة في عمارتهم وهندامهم وطرق عيشهم.

مع التبيان أن مجمل الحركات التي يقوم بها الأفراد الثراريون إلا ولها مدلول ذو صبغة ثقافية ، وينبع ذلك من خلال ايحاءاتهم النفسية حيال ظاهرة الفرح و الكيفية التي يتعامل معها الثراري فرديا وجماعة وذللك من خلال التآزر والتعاون فيما بينهم في جميع المناسبات وبخاصة في مناسبة الفرح ، فيكون التعاون من المعطى إلى غاية إنتهاء الفرح بالسبوع،

فهدا التآزر و التعاون يشكل في حد ذاتة ظاهرة إجتماعية وثقافية ينفرد بها أهالي المنطقة ، فيكون تعاونهم في شكل متناسق الحركة الفنية مما يعطي الإنطباع للرائي أن حاضري الفرح من المدعوين هم من عائلة واحـدة .

قائمة المراجع

- ابن عمار الصغير . التفكير العلمي عند بن خلدون , ش.و.ن. ت, ط/2- 1978- الجزائر
- الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي من تصفية الإستعمار إلى الثورة الثقافية ترجمة حنيفي بن عيسى –الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ط/2-1982
- أبو حنيف أحمد عمر، القبائل العربية في المغرب ـــ د.م.ج-ط/82
- بن شنو عبد الحميد معرفة المغرب العربي ـــ مطبعة دار النشر الجزائر سنة 1971
- أحمد أبو زيد البناء الاجتماعي – مدخل لدراسة المجتمع – الجزء الأول– مطبوعات القومية لطباعة و النشر القاهرة 1965
- أحمد توفيق المدني , حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا ـش. و.ن . ت - 1976
- أحمد راشدي صالح الأدب الشعبي ـــ مكتب النهضة المصرية القاهرة 195
- الدكتور أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي, ,الجزء الثاني , مطبعة المؤسسة الوطنية للكتاب .
- الأمير عبد القادر كتاب تحفة الزائر المطبعة التجارية المطبعة التجارية المطبعة التجارية في مآثر الأمير في أخبار الجزائر الجزء سيرته السيفية المطبعة التجارية
- دحمان بلقاسم , أصول التخلف في الجزائر, رسالة لنيل الدكتورة الدرجة الثالثة , جامعة وهران, ط/1981

- حمدان بن عثمان خوجة المرآت ـــ تقديم وتحقيق محمد العربي الزبيري – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع –الجزائرا لعاصمة – ط/2 – 1982
- حسن الساعاتي علم الاجتماع القانوني-– دار الموفى القاهرة سنة 1960
- جاك شفالي و دانيال لوشاك العلوم الأدارية , المجلد الثاني ,.-– عبد الوهاب خلافة أصول الفقه القاهرة. ط.1947
- جان بواريه, تاريخ العرقية , ترجمة نسيم نصر , عن منشورات عويدات , بيروت - باريس /83
- روجي غارودي حوار الحضارات, منشورات عويدات سنة 1978

- العربي الزبيري , الشركة الوطنية للنشر والتوزيع , الجزائر ط/2. 1982
-الدكتور عبد الله شريط الفكر الاخلاقي عند بن خلدون الشركة الوطنية للنشر و التوزيع 1991

- الدكتورة فوزية ذياب - القيم والعادات الإجتماعية – بحث ميداني ـــ دار المعرفة القاهرة
- 1980
- شارل أندري جوليا ن , تاريخ إفريقيا الشمالية ، ترجمة عبسى منصور ، ديوان المطبوعات الحامعية ، الجزائر 1982
- الأمازيغ العرب العاربة

- ريمون آرون ، صراع الطبقات ـــ ترجمة عبد الوهاب كاتب – منشورات عويدات – بيروت
- ط/ 1965
- جان وليام لابيار السلطةالسياسية
- موريس دوفرجية في ا لديكتاتورية ـــ ترجمة الدكتور هشام منولي منشورات عويدات – بيروت – باريس
- مصطفى الخشاب الاجتماع العائلي ـــ دار النهضة العربية للطباعة و النشهر – بيروت 1985
- ـ الدكتور محمد حامد محاضرات في علم الإجتماع السياسي– في شكل المطبوعات الجامعية أخرجتها اللجنة التربوية للمطبوعات ، السنة الدراسية 77/76، عن معهد الحقوق والعلوم الادارية ، جامعة وهران
- محمد غيث القرية المتغيرة ـــ دار المعارف – القاهرة 1962
- ا لدكتور سمير عبد السيد تناغو، النظرية العامة للقانون ـــمنشأ المعارف بالأسكندرية ط/ 86
- مصطفى بو تفنوشت العائلة الجزائرية – التطور و الخصائص الحديثة- ـ ترجمة دمبري أحمد ديوان المطبوعات الجامعية 1984

- عبدالرحمان بن خلدون, كتاب العبر , عن دار الكتاب . سنة 1981
- عبد الرحمن بن خلدون كتاب العبر الجزء الثاني – عن دار الكتاب اللبناني 1981
- عبدالرحمان الجيلالي تاريخ الجزائر العام - المطبعة التجارية سنة 1971
- عمر يزلي صدىالثورة الجزائرية في الأهاجيز النسوية في ولاية تلسمان رسالة ماجستير . جامعة تلمسان بن سنة 1990

- عدي الهواري الإستعمار الفرنسي في الجزائر – سياسة التفكيك الإقتصادي و الإجتماعي - ترجمة جوزيف عبد الله – دار الحداثة للطباعة و النشر والتوزيع – بيروت 1983
- علي فؤاد أحمد علم الاجتماع الريفي — دار الثقافة والعلوم القاهرة 1960
- عاطف و صفي كتاب الأنتروبولوجية — دار النهضة للنشر سنة 1973
- عسالي الهواري الزواج في ظل الاسلام — موضوع منشور في جريدة الرأي العدد 1256 بتاريخ 2002/06/10
- الدكتور مبارك الميلي تاريخ ا لجزائر – ج2--ط/2-بيروت سنة 1963-1977

- سمير امين المغرب الحديث– دار النشر مينون -باريس 1970
- الأستاد شرارة أزمة المدينة الجزائرية الحديثة رسالة ماجيستير عن معهد الثقافة الشعبية – جامعة تلمسان سنة 95/94.

- شارل روبير آجرون تاريخ الجزائر المعاصرة ديوان للمطبوعات الجامعية ط/2
- مجلة المعرفة –العدد رقم 225 – نوفمبر 1980 موضوع عن البنيوية للدكتور جمال شعيب –
- ثرارة بين التقاليد و الحداثة للأستاد فرجي-جامعة وهرن -مركز البحث في الأنتربولوجيا موضوع نشر في مجلة المركز العدد رقم 08 شهر مارس أفريل 1998
- طبال شحيب المقدمة الاجتماعية — مجلة المعرفة – العددين 225-226 شهر نوفمبر و ديسمبر 1980
– الجزائر و أقطار العالم الثالث في نظر الإنثربولوجيون في القرن 19 عن . مجلة الأصالة العدد 14 و 15 عن وزارة التعليم لأصلي و الشؤون الدينية .

- Aboubekr Abdesslam .Usages de Droit Coutumier, dans la région de Tlemcen, par - Société Historique Algérienne Alger 1936

- Dr Affifa Attar Mecharbet, Elements d'Anthropologie a l'usage des Etudiants en sciencesHumanes Edition , Univ.Mantouri de Constantine 2001/2002
- André lecocq . l'histoire des débuts de la colonialisation dans la subdivision de Tlemcen,T. 2, publier à Oran 194
- Gabriel Marcel Les hommes contre humain – par, 28ed la colombe – Paris-1962
- Berthlon et Chantse Recherches Anthropologiques dans la berbere orientale - lyon.imp 1913.

- Berthlon et Chantse Recherches Anthropologiques dans la
- berbere orientale - lyon.imp 1913.
- BERGSON.H Les deux sources du monde et de la region –
- Gabriel Marcel, Les Hommes contre Humain, 28 ed la colombe , Paris 1962
- Gabriel Marcel et emile Durkheim Leçons de socio philosophie – des moeurs et du droit. P.U.T 1950
-
- . Gilbert Grandguihaume .Nedroma évolution d'une Medina-ed.lieden – Ej brill.1976
- Jean Canal .Les villes de l'Algerie –Nemours Monographie de l'Afrique Française-Paris –Barbier-Libraire 1888
- Jean-Claude Vatin. L'Algérie Politique- Histoire et société Fondation Nationale , des Science Politique armand colin Paris 1972
- , Karl uspers. Introduction à la philosophie - Traduit Par J.Hest plan 1962

  Kant, Fondements de la Metaphysique des Mœurs-parDeldas, libraire .Delagrave- Paris 1962
- TELHARD de Chardin ,Place de l'homme dans le monde-.Union général d'édition 1962.
- Famille Kabyle et famille Romaine- Coutumes Algeriennes – étude socio juridique. Paris. Domat Moutchretien 1930
- René Maunier .Leçon d'ouverture d'un cours de sociologie algérienne par -hesperis-Archives.
- - René basset. Momographie de l'Adminisrtation de Tlemcen,Nedroma et Pays de Trara –
- Jean Cuisenier-Presses Tradition Populaire- Universitaires de France 95
- - Messaoud Sakina. Les Romancieres Coloniales et les femmes colonisées en Afrique dans XX Siecles E.N.L-1989.
- Nicolas perrot , L'Afrique du Marmol, trad, Paris 1667.T .II
- Coutumes Algériennes- René Maunier- Paris les Edition Domat-Mont -Chersti 1936
- Oujda et l'AMALAT, Auteur inconnu.
- Nemours et sa Region, bultin de la géographie, Barbarie musulmane et l'orient du moyen age

- La Loi du 03 mai 1930.
- Annuaire Statique de la W.Tlemcen Année 1990.
- Encyclopeadia- Univ. Volume 3
- Revue Algérienne N° 4 Mois juillet et Aout 1952
- La Revue Africaine N°7. les Berberes Avant le colonialisme Gererd Lottfs.
- Revue de l'occident Musulman N°10.

فهـــــرس

الموضـــــوع **الصفـحة**

المـقـدمـــــة ..... -4 –

الـتمهيـــــــد ..... - 6 -

الفصـــــــل الأول:

البنية الطبيعية و التاريخية لمنطقة تزارة .....-11-

البحث الأول: البعد التاريخي للمنطقة .....-12-

البحث الثاني: البعد الفكري و الثقافي للمنطقة .....-24-

الفصـــــــل الثاني:

النمط الحياتي للتزارة ..... -36-

لباسهم ..... -39-

-1 عند الرجال .... -39-.

- 2 عند النساء ..... -40-.

المبحث الأول : العرف و عادات الاسلاف..... -44-.

المبحث الثاني: ماهية العرف و العادة ..... -49-.

تقسيمات العرف .....-50-

الفصـــل الثالث:

الطقوس الأولية السابقة لعقد الزواج ..... -55-
البحث الأول: الخطبة ..... -56-
البحث الثاني: المعطى ..... -63-
شروط الزواج و الصداق ..... -66-

الفصـــل الرابع:

حفل الزفاف و مراسيمه .....-70-
مفهوم التصفيح ..... -73-
المبحث الأول: الحناء 73
الحناء الصغيرة ..... -74-
الحناء الكبيـرة ..... -78-
المبحث الثاني: الزفاف ..... -81-
الرباط ..... -89-
السبوع ..... -92-
المبحث الثالث: دراسة نمودجية ..... -97-
الخاتمـــــــــة: ..... -101-
المراجـــــــــع: .... -103-
الفهـــــــــرس: .... -108-